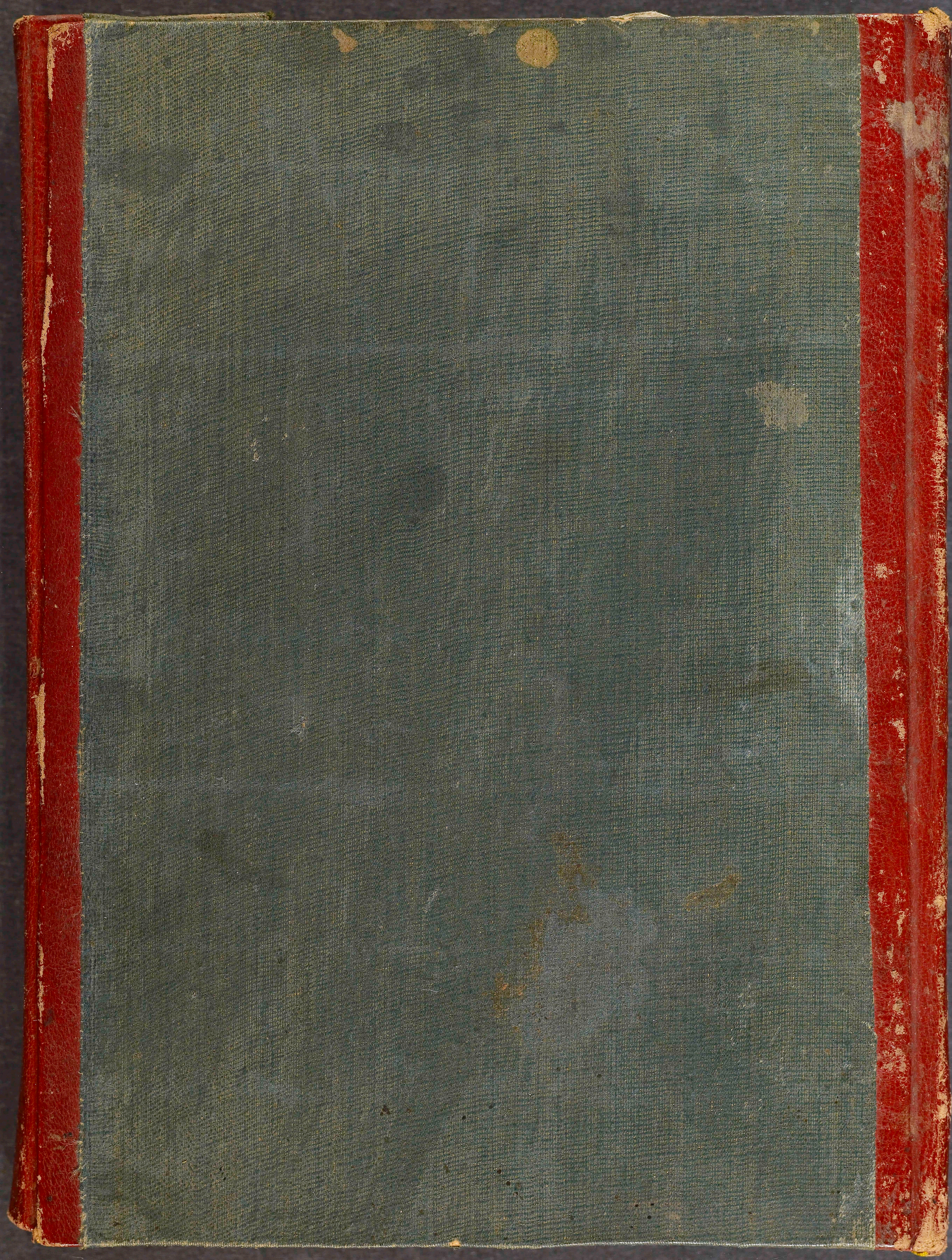
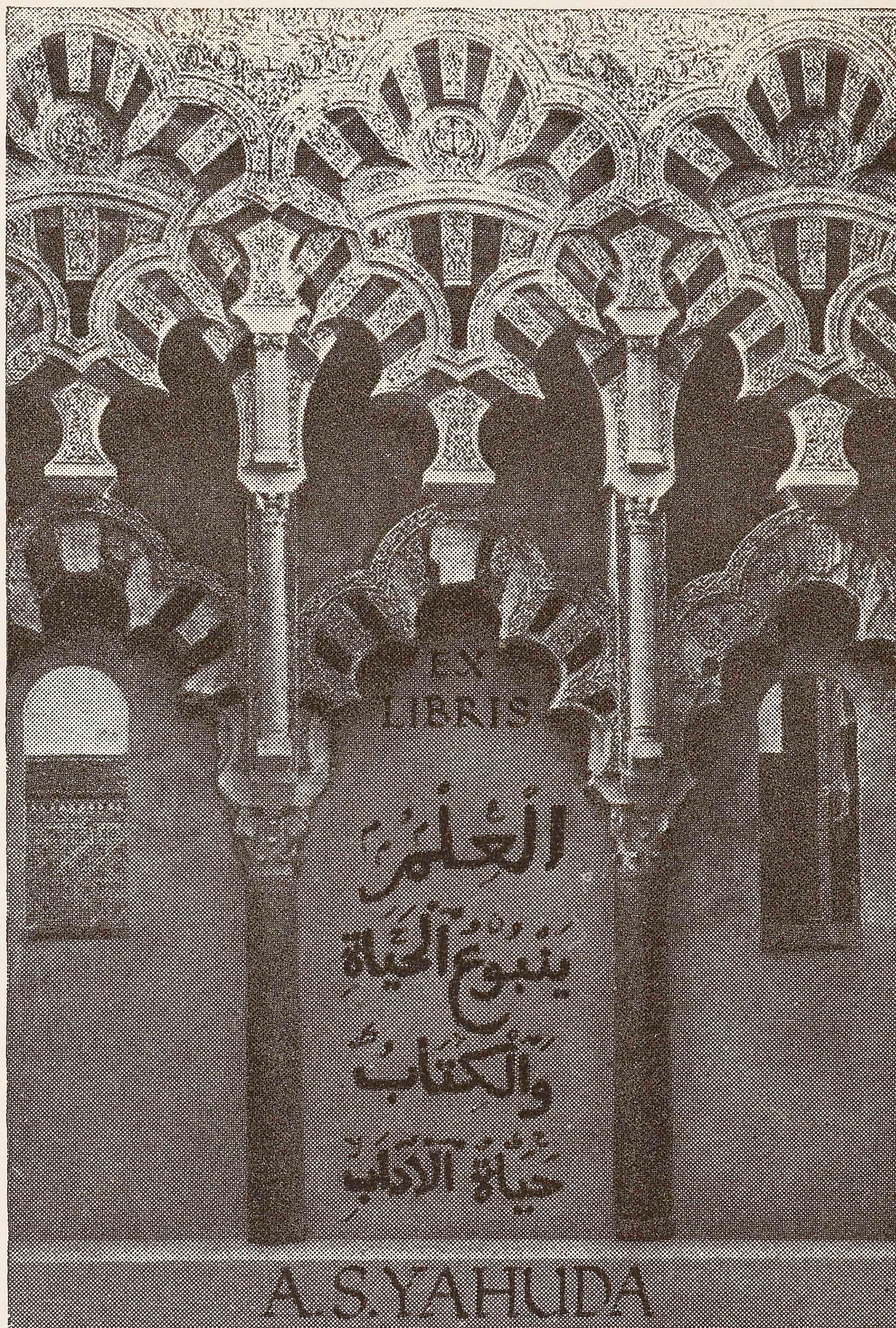



EX
LIBRIS
العلم
ينبوع الحياة
والكتاب
حياة الآداب
A.S.YAHUDA

١

تملك الحقير اليه
تعالى عثمان الخطيب
الدوماني
سنة ١٣٠٩

قاعدة في الصفات والقدر

تصنيف شيخنا شيخ الاسلام وناصر السنه فريد الوقت حبر العلوم
بقية المجتهدين وقدوة الشاكرين تاج العارفين لسان المتكلمين
رحلة الطالبين حجة الراسخين امام الزاهدين الامام الربانية النوراني
والعالم المتقن الرباني المعتقد ومن في قلبه النور الالهي والعلوم
الرفيعة والفنون البديعة والاخذ بازمة الشريعة الجامع
لانواع المحاسن الحاوي من الصفات الاحاسن فالاحاسن
تقي الدين ابو العباس احمد بن شيخنا الامام العالم العلامة شهاب
الدين بهاء الاسلام شرف الانام مفتي الشام ابي المحاسن عبد الحليم
ابن شيخنا الامام القدوة العلامة مجد الدين ضيا الاسلام شرف
الانام رئيس الاصحاب شيخ المذاهب سيد العلما والفضلاء
ابي البركات عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن محمد بن تيمية
الحراني نفعنا الله بعلومه الفاخرة واثابه في الدنيا والاخرة
واسبغ عليه نعمه باطنه وظاهره بمنه وكرمه وخفي لطفه

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا
ومن سيات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي
له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى اله وسلم تسليما اما بعد
فقد سالني من تعينت اجابتهم ان اكتب لهم مضمون ما سمعوه مني في
بعض المجالس من الكلام في التوحيد والصفات وفي الشرع والقدر
لمسيس الحاجة الى تحقيق هذين الاصلين وكثرة الاضطراب فيهما
فانهما مع حاجة كل احد اليهما وان اهل النظر والعلم والارادة
والعبادة لا بد لهم ان يخطر لهم في ذلك من الخواطر والاقوال ما يحتاجون
معه الى بيان الهدى من الضلال لا سيما مع كثرة من خاض في ذلك بالحق
تارة وبالباطل تارات وما يعتري القلوب في ذلك من الشبه
التي توقعها في انواع الضلالات فالكلام في باب التوحيد والصفات
هو من باب الخبر الداير بين النفي والاثبات والكلام في الشرع والقدر
هو من باب الطلب والارادة الداير بين الارادة والمحبة وبين الكراهة
والبغض نفيا واثباتا والانسان يجد في نفسه الفرق بين النفي
والاثبات والتصديق والتكذيب وبين الحب والبغض والحض

ومع ان

والمنع حتى ان الفرق بين هذا النوع وبين النوع الاخر معروف
عند العامة والخاصة معروف عند اصناف المتكلمين في العلم كما
ذكر الفقها ذلك في كتاب الايمان وكما ذكره المقسمون للكلام من
اهل النظر والنحو والبيان فذكروا ان الكلام نوعان خبر وانشا
والخبر داير بين النفي والاثبات والانشا امر او نهي او اباحة
واذا كان كذلك فلابد للعبد ان يثبت لله ما يجب اثباته له من صفات
الكمال وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضاد هذه الحال
ولابد له في احكامه من ان يثبت خلقه وامره فيومن بخلقه
المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته ويثبت امره المتضمن
بيان ما يحبه ويرضاه من القول والعمل ويومن بشرعه وقدره
ايمانا خاليا من الزلل وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده
لا شريك له وهو التوحيد في القصد والارادة والعمل والاول
يتضمن التوحيد في العلم والقول كما دلت على هذا سورة قل
هو الله احد ودلت على الاخر سورة قل يا ايها الكافرون
البقيه
وهما سورتا الاخلاص وبهما كان يقرا النبي صلى الله عليه وسلم بعد
الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغيرهما فاما الاول
وهو التوحيد في الصفات فالاصل في هذا الباب ان يوصف الله

الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفيا واثباتا
فيثبت لله تعالى ما اثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم
ان طريقة سلف الامة وايمتها اثبات ما اثبته لنفسه من الصفات
من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك ينفون عنه مطلب
ما نفاه عن نفسه مع ما اثبته من الصفات من غير الحاد لا في
اسمايه ولا في الايات فان الله ذم الذين يلحدون في اسمايه
وآياته كما قال تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين
يلحدون في اسمايه سيجزون ما كانوا يعملون وقال تعالى ان
الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا افمن يلقى في النار خير ام من ياتي
آمنا يوم القيمة اعملوا ما شيتم انه بما تعملون عليم وطريقتهم تتضمن بصيرا
اثبات الاسما والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات اثباتا بلا تشبيه
وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى ليس كمثله شي وهو السميع البصير
ففي قوله ليس كمثله شي رد للتشبيه والتمثيل وقوله وهو
السميع البصير رد للالحاد والتعطيل والله سبحانه وتعالى
بعث رسله باثبات مفصل ونفي مجمل فاثبتوا له الصفات على
وجه التفصيل ونفوا عنه ما يصلح له من التشبيه والتمثيل كما قال لا
تعالى فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا قال

أهل اللغة هل تعلم له سميا اي نظيرا يستحق مثل اسمه ويقال
مساميا يساميه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس هل تعلم له
مثلا او شبها وقال تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد وقال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وقال
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين
امنوا اشد حبا لله وقال تعالى وجعلوا لله شركا الجن
وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون
بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
وخلق كل شي وهو بكل شي عليم وقال تعالى تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له
ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
وقال تعالى فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون الى قوله الا
عباد الله المخلصين الى قوله سبحان ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فسبح نفسه
عما يصفه المفترون المشركون وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه
من الافك والشرك وحمد نفسه سبحانه اذ هو المستحق لما له من
الاسما والصفات وبديع المخلوقات واما الاثبات

للحمد

المفصل فانه ذكر من اسمايه وصفاته ما انزله في محكم اياته كقوله
الله لا اله الا هو الحي القيوم الاية بكمالها وقوله قل هو الله احد
الله الصمد السورة وقوله وهو العليم الحكيم وهو العليم القدير
وهو السميع البصير وهو العزيز الحكيم وهو الغفور الرحيم
وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد وهو الاول
والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم هو الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على
العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج
فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وقوله فسوف ياتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه وقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه
وقوله ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه
فاحبط اعمالهم وقوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم
خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما
وقوله ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من
مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون وقوله هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملايكة وقضي الامر وقوله
ثم استوى الى السما وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها

قالتا اتينا طايعين وقوله وكلم الله موسى تكليما وقوله وناديناه من
جانب الطور الايمن وقربناه نجيا وقوله ويوم يناديهم فيقول اين
شركاي الذين كنتم تزعمون وقوله انما امره اذا اراد شيا ان يقول له
كن فيكون وقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون
هو الله الخالق البارى المصور له الاسما الحسنى يسبح له ما في
السموات والارض وهو العزيز الحكيم الى امثال هذه الايات
والاحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم في اسما الرب
تعالى وصفاته فان في ذلك من اثبات ذاته وصفاته على وجه
التفصيل واثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدى الله به عباده
الى سوا السبيل فهذه طريقة الرسل صلى الله عليهم اجمعين
واما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين
اوتوا الكتاب ومن دخل في هولاء من الصابية والمتفلسفه
والجهميه والقرامطة الباطنية ونحوهم فانهم على ضد
ذلك فانهم يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل
ولا يثبتون الا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل
وانما يرجع الى وجود في الاذهان يمتنع تحققه في الاعيان

فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل فانهم يمثلونه بالممتنعات
والمعدومات والجامدات ويعطلون الاسما والصفات تعطيل
الباطنية للذات فغايتهم انهم يسلبون عنه النقيضين فيقولون لا
موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا جاهل ولا عالم لانهم
بزعمهم اذا وصفوه بالاثبات شبهوه بالموجودات واذا وصفوه
بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين وهذا ممتنع في بداية
العقول وحرفوا ما انزل الله تعالى من الكتب وما جابه الرسول
صلى الله عليه وسلم ووقعوا في شر مما فروا منه فانهم شبهوه
بالممتنعات اذ سلب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من
الممتنعات وقد علم بالاضطرار ان الوجود لا بد له من موجد
قديم واجب غني بذاته عما سواه ازلي لا يجوز عليه الحدوث قديم
ولا العدم فوصفوه بما يمتنع وجوده فضلا عن الوجوب او
الوجود او العدم وقاربهم طايفة من الفلاسفة واتباعهم
فوصفوه بالسلوب والاضافات دون صفات الاثبات
وجعلوه هو الموجود المطلق بشرط الاطلاق وقد علم بصريح العقل
ان هذا لا يكون الا في الذهن لا فيما خرج عنه من الموجودات
وجعلوا الصفة هي الموصوف فجعلوا العلم عين العالم مكابرة

٥

للقضايا البديهيات وجعلوا هذه الصفة هي الاخرى فلم يميزوا
بين العلم والقدرة والمشية جحدا للعلوم الضروريات
وقاربهم طايفة ثالثة من اهل الكلام من المعتزلة ومن اتبعهم
فاثبتوا له الاسما دون ما تضمنته من الصفات فمنهم من جعل العليم
والقدير والسميع والبصير كالاعلام المحضة المترادفات
ومنهم من قال عليم بلا علم قدير بلا قدرة سميع بلا سمع
بصير بلا بصر فاثبتوا الاسم دون ما تضمنه من الصفات
والكلام على فساد مقالة هولاء وبيان تناقضها بصريح
المعقول المطابق لصحيح المنقول مذكور في غير هذه
الكلمات وهولاء جميعهم يفرون من شي ويقعون في
نظيره وفي شر منه مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات
ولو امعنوا النظر لسووا بين المتماثلات وفرقوا بين المختلفات
كما تقتضيه المعقولات ولكانوا من الذين اوتوا العلم الذين
يرون ان ما انزل الله الى الرسول هو الحق من ربه ويهدي الى
صراط العزيز الحميد لكنهم من اهل المجهولات المشبهة بالمعقولات
يسفسطون في العقليات ويقرمطون في السمعيات وذلك
انه قد علم بضرورة العقل انه لا بد من وجود قديم غني عما سواه

اذ نحن نشاهد حدوث المحدثات كالحيوان والمعدن والنبات
والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع وقد علم بالاضطرار ان
المحدث لا بد له من محدث والممكن لا بد له من واجب كما قال تعالى
ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون فاذا لم يكونوا خلقوا
من غير خالق ولا هم الخالقون لانفسهم تعين ان لهم خالقا واذا خلقهم
كان المعلوم بالضرورة ان في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه من
وما هو محدث ممكن يقبل الوجود والعدم فمعلوم ان هذا
موجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى الوجود ان
يكون وجود هذا مثل وجود هذا بل وجود هذا يخصه
ووجود هذا يخصه واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما
في مسمى ذلك الاسم عند الاضافة والتقييد والتخصيص ولا
في غيره فلا يقول عاقل اذا قيل العرش شيء موجود وان له انه
البعوض شيء موجود ان هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمى الشيء
والوجود لانه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان
فيه بل الذهن يأخذ معنى مشتركا كليا هو مسمى الاسم المطلق
واذا قيل هذا موجود وهذا موجود فوجود كل منهما يخصه
لا يشركه فيه غيره مع ان الاسم حقيقة في كل منهما ولهذا سمي

الله نفسه باسماء وسمى صفاته باسماء وكانت تلك الاسما مختصة به
اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض مخلوقاته
باسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الاسماء اذا قطعت
عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتماثل
مسماها واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة
والتخصيص اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الاضافة والتخصيص
فضلا عن ان يتحد مسماها عند الاضافة والتخصيص فقد سمى الله
نفسه حيا فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم وسمى
بعض عباده حيا فقال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي وليس هذا الحي مثل هذا الحي لان قوله الحي القيوم
اسم الله مختص به وقوله يخرج الحي من الميت اسم للحي
المخلوق مختص به وانما يتفقان اذا اطلقا وجردا عن التخصيص
ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل يفهم من
المطلق قدرا مشتركا بين المسميين وعند الاختصاص
يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق ولا بد من هذا في جميع
اسماء الله وصفاته يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطاة والاتفاق
وما دل عليه بالاضافة والاختصاص المانعة من مشاركة

المخلوق للخالق في شي من خصايصه سبحانه وتعالى وكذلك سمى الله
نفسه عليما حليما وسمى بعض عباده عليما فقال وبشرناه
بغلام حليم يعني اسمعيل وليس العليم كالعليم ولا الحليم كالحليم
وسمى نفسه سميعا بصيرا فقال ان الله يامركم ان تودوا الامانات
الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما
يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا وسمى بعض خلقه سميعا
بصيرا فقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه
سميعا بصيرا وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير
وسمى نفسه بالروف الرحيم فقال ان الله بالناس لروف رحيم
وسمى بعض عباده بالروف الرحيم فقال لقد جاكم رسول من انفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم وليس الروف
كالروف ولا الرحيم كالرحيم وسما نفسه بالملك فقال الملك
القدوس وسمى بعض عباده بالملك فقال وكان وراهم ملك ياخذ كل
سفينة غصبا وقال الملك ايتوني به وليس الملك كالملك
وسمى نفسه بالمومن فقال المومن المهيمن وسمى بعض عباده بالمومن فقال
افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وليس المومن كالمومن
وسمى نفسه بالعزيز فقال العزيز الجبار المتكبر وسمى بعض عباده

بالعزيز فقال وقالت امراة العزيز وليس العزيز كالعزيز وسمى نفسه الجبار المتكبر وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر فقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وليس الجبار كالجبار ولا المتكبر كالمتكبر ونظاير هذا متعددة وكذلك سمى صفاته باسما وسمى صفات عباده بنظير ذلك فقال ولا يحيطون بشى من علمه انزله بعلمه وقال ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقال اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة وسمى صفة المخلوق علما وقوة فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال وفوق كل ذى علم عليم وقال فرحوا بما عندهم من العلم وقال الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشا وقال ويزدكم قوة الى قوتكم وقال والسما بنيناها بايد اى بقوة وقال تعالى واذكر عبدنا داود ذى الايدى ذى القوة وليس العلم كالعلم ولا القوة كالقوة وكذلك وصف نفسه بالمشية ووصف عبده بالمشية فقال لمن شا منكم ان يستقيم وما تشاون الا ان يشا الله ان الله كان عليما حكيما ووصف نفسه بالارادة وعبده

كذلك

بالارادة وعبده بالارادة فقال تريدون عرض الدنيا والله يريد
الاخرة والله عزيز حكيم ووصف نفسه بالمحبة وعبده بالمحبة
فقال فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وقال قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ووصف نفسه بالرضي ووصف
عبده بالرضي فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ومعلوم ان
مشية الله ليست مثل مشية العبد ولا ارادته مثل
ارادته ولا محبته مثل محبته ولا رضاه مثل رضاه وكذلك وصف
نفسه بانه يمقت الكفار ووصفهم فقال ان الذين كفروا
ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى
الايمان فتكفرون وليس المقت مثل المقت وهكذا وصف
نفسه بالمكر والكيد كما وصف عبده فقال ويمكرون ويمكر الله
وقال انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وليس المكر كالمكر
ولا الكيد كالكيد ووصف نفسه بالعمل فقال واية لهم انا خلقنا
لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون ووصف عبده
بالعمل فقال جزاء بما كانوا يعملون وليس العمل كالعمل ووصف نفسه
بالمناداة والمناجاة في قوله وناديناه من جانب الطور الايمن
وقربناه نجيا وقوله ويوم يناديهم وقوله وناداهما ربهما ووصف

عباده بالمناداة والمناجاة فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون وقال واذا ناجيتم الرسول وقال اذا تناجيتم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان وليس المناداة كالمناداة ولا المناجاة
كالمناجاة ووصف نفسه بالتكليم في قوله وكلم الله موسى
تكليما وقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وقوله
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ووصف
عبده بالتكليم في مثل قوله وقال الملك ائتوني به فلما كلمه
قال انك اليوم لدينا مكين امين ووصف نفسه بالتنبئة ووصف
بعض الخلق بالتنبئة فقال واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا
فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه واعرض عن بعض
فلما نباها به قالت من انباك هذا قال نباني العليم الخبير وليس
الانبا كالانباء ووصف نفسه بالتعليم فقال الرحمن علم القران
خلق الانسان علمه البيان ووصف عبده بالتعليم فقال
تعلمونهن مما علمكم الله ولقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويعلمهم الكتاب والحكمة وليس
التعليم كالتعليم ووصف نفسه بالغضب فقال وغضب الله عليهم
ولعنهم ووصف عبده بالغضب في قوله فلما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا

الى قومه غضبان اسفا وليس الغضب كالغضب ووصف نفسه
بانه استوى على عرشه فذكر في سبع مواضع في كتابه انه استوى
على العرش ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره في مثل قوله مطلب
لتستووا على ظهوره وقوله فاذا استويت انت ومن
معك على الفلك وقوله واستوت على الجودي وليس
الاستوا كالاستواء ووصف نفسه ببسط اليدين فقال وقالت
اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل
يداه مبسوطتان ينفق كيف يشا ووصف بعض خلقه ببسط اليد
في قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وليس اليد كاليد ولا البسط كالبسط واذا كان
المراد بالبسط الاعطا والجود فليس اعطا الله كاعطا خلقه
ولا جوده كجودهم ونظاير هذا كثير فلا بد من اثبات ما اثبته
الله لنفسه ونفي مماثلته لخلقه فمن قال ليس لله علم ولا قوة
ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى ولا مطلب
استوى كان معطلا جاحدا ممثلا لله بالمعدومات والجمادات
ومن قال علمه كعلمي او قوته كقوتي او حبه كحبي او رضاه كرضاي
او يده كيدي او استواه كاستواي كان مشبها ممثلا لله بالحيوانات

بل

بل لا بد من اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل وتبين هذا باصلين
شريفين ومثلين مضروبين ولله المثل الاعلى وبخاتمة جامعة
فصل فاما الاصلان فاحدهما ان يقال القول في بعض الصفات
كالقول في بعض فان كان المخاطب ممن يقر بان الله حي بحيوة عليم
بعلم قادر بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد
بارادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه وغضبه
وكراهته فيجعل ذلك مجازا ويفسره اما بالارادة واما ببعض
المخلوقات من النعم والعقوبات قيل له لا فرق
بين ما اثبته وبين ما نفيته بل القول في احدهما كالقول في الاخر
الاخر فان قلت ان ارادته مثل ارادة المخلوقين
فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل وان قلت
له ارادة تليق به كما ان للمخلوق ارادة تليق به قيل له وكذلك له
محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به وله رضى وغضب يليق به
وللمخلوق رضى وغضب يليق به وان قال الغضب غليان دم
القلب لطلب الانتقام قيل له والارادة ميل النفس الى جلب منفعة
او دفع مضرة فان قلت هذه ارادة المخلوق قيل له
لك وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه وبصره

وعلمه وقدرته ان نفى عنه الغضب والمحبة والرضى ونحو
ذلك مما هو من خصايص المخلوقين فهذا امتناع عن السمع
والبصر والكلام وجميع الصفات وان قال انه لا حقيقة لهذا
الا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه قيل له وهكذا السمع
والبصر والكلام والعلم والقدرة فهذا المفرق بين بعض
الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو لمنازعه فيما
اثبته فاذا قال له المعتزلي ليس له ارادة ولا كلام قايم به
لان هذه الصفات لا تقوم الا بالمخلوقات فانه يبين للمعتزلي
ان هذه الصفات يتصف بها القديم ولا تكون كصفات
المحدثات وهكذا يقول له المثبتون لساير الصفات من
المحبة والرضى ونحو ذلك فان قال المعتزلي تلك الصفات
اثبتها بالعقل لان الفعل الحادث دل على القدرة والتخصيص
دل على الارادة والاحكام دل على العلم وهذه الصفات
مستلزمة للحيوة والحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام
او ضد ذلك قال له ساير اهل الاثبات لك جوابان
احدهما ان يقال عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين فهب ان ما سلكته من
الدليل العقلي لا يثبت ذلك فانه لا ينفيه فليس لك ان تنفيه بغير
دليل

فان نفيت عنه

احدها

دليل لان النافي عليه الدليل كما على المثبت والسمع قد دل عليه ولم يعارض
ذلك معارض عقلي ولا سمعي فيجب اثبات ما اثبته الدليل السالم عن
المعارض المقاوم الثاني ان يقال يمكن اثبات هذه الصفات الثاني
بنظير ما اثبت به تلك من العقليات فيقال نفع العباد بالاحسان
اليهم يدل على الرحمة كدلالة التخصيص على المشية والاكرام
الطايعين يدل على محبتهم وعقاب الكفار يدل على بغضهم كما
قد ثبت بالشهادة والخبر من اكرام اوليايه وعقاب اعدايه
والغايات المحمودة في مفعولاته ومأموراته وهي ما
تنتهي اليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة
تدل على حكمته البالغة كما يدل التخصيص على المشية
واولى لقوة العلة الغايية ولهذا كان ما في القران من بيان
ما في مخلوقاته من النعم والحكم اعظم مما في القران من بيان
ما فيها من الدلالة على محض المشية وان كان المخاطب ممن
ينكر الصفات ويقر بالاسماء كالمعتزلي الذي يقول انه
حي عليم قدير وينكر ان يتصف بالحياة والعلم والقدرة
قيل له لا فرق بين اثبات الاسماء وبين اثبات الصفات
فانك ان قلت اثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي

تشبيها وتجسيما لانا لا نجد في الشاهد متصفا بالصفات
الا ما هو جسم قيل لك ولا تجد في الشاهد ما هو مسمى بانه حي عليم
قدير الا ما هو جسم فان نفيت ما نفيت لكونك لم تجده الا لجسم
فانف الاسما بل وكل شي لانك لا تجده في الشاهد الا لجسم
فكل ما يحتج به من نفى الصفات يحتج به نافي الاسما الحسنى
فما كان جوابا لذلك كان جوابا لمثبتي الصفات وان كان
المخاطب من الغلاة نفاة الاسما والصفات وقال لا اقول
هو موجود ولا حي ولا عليم ولا قادر بل هذه الاسما لمخلوقاته
او هي مجاز لان اثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحي
العليم قيل له وكذلك اذا قلت ليس بموجود ولا حي ولا عليم
ولا قدير كان ذلك تشبيها بالمعدومات وذلك اقبح من التشبيه
بالموجودات فان قال انا انفي النفي والاثبات قيل له
فيلزمك التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات
فانه يمتنع ان يكون الشي موجودا معدوما او لا موجودا
ولا معدوما ويمتنع ان يوصف باجتماع الوجود والعدم
ونفي الحيوة والموت ونفي العلم والجهل فان قلت انما
يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلا لهما وهذان يتقابلان تقابل العدم

والملكة

والملكة لاتقابل السلب والايجاب فان الجدار لا يقال له اعمى
ولا بصير ولا حي ولا ميت اذ ليس بقابل لهما قيل له ذلك اولا هذا اصطلاح
اصطلحت عليه المتفلسفة المشاؤون والاصطلاحات اللفظية
ليست دليلا في الحقايق العقلية وقد قال تعالى والذين يدعون
من دون الله لا يخلقون شيا وهم يخلقون اموات غير احياء وما
يشعرون ايان يبعثون فسمى الجماد ميتا وهذا مشهور
في لغة العرب وغيرهم وقيل لكم ثانيا فما لا يقبل الاتصاف
بالحياة والموت والعمى والبصر ونحو ذلك من المتقابلات
انقص مما يقبل ذلك فالاعمى الذي يقبل الاتصاف بالبصر اكمل
من الجماد الذي لا يقبل واحدا منهما فانتم فررتم من تشبيهه
بالحيوانات القابلة لصفات الكمال ووصفتموه بصفات
الجمادات التي لا تقبل ذلك وايضا فما لا يقبل الوجود والعدم
اعظم امتناعا من القابل للوجود والعدم فنفيهما جميعا
وقيل له ايضا اتفاق المسميين في بعض الاسماء والصفات
ليس هو التشبيه والتمثيل الذي نفته الادلة السمعيات
والعقليات وانما نفت ما يستلزم اشتراكهما فيما
يختص به الخالق مما يختص بوجوبه او جوازه او امتناعه

فلا يجوز ان يشركه فيه مخلوق ولا يشركه المخلوق في شي من
خصايصه سبحانه وتعالى واما ما نفيته فهو ثابت بالشرع
والعقل وتسميتك ذلك تشبيها وتجسيما تمويه على الجهال الذين
يظنون ان كل معنى سماه مسمى بهذا الاسم يجب نفيه ولو
ساغ هذا لكان كل مبطل يسمي الحق باسما ينفر عنها بعض
الناس ليكذب الناس بالحق المعلوم بالسمع والعقل
وبهذه الطريق افسدت الملاحدة على طوايف من الناس
عقولهم ودينهم حتى اخرجوهم الى اعظم الكفر والجهالة
وابلغ الغي والضلالة وان قال النفاة الصفات اثبات
العلم والقدرة والارادة يستلزم تعدد الصفات
وهذا تركيب ممتنع قيل واذا قلتم هو موجود وواجب
وعقل وعاقل ومعقول فليس المفهوم من هذا هو
المفهوم من هذا وهذه معان متغايرة في العقل
وهذا تركيب فان قالوا هذا توحيد في الحقيقة
وليس هذا تركيبا ممتنعا قيل لهم واتصاف الذات
بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة وليس هذا
تركيبا ممتنعا وهذا باب مطرد فان كل واحد من النفاة

لما

لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الصفات لا
ينفي شيئا فرارا مما هو محذور الا وقد اثبت ما يلزمه فيه
نظير ما فر منه فلا بد في اخر الامر من ان يثبت موجودا
واجبا قديما متصفا بصفات تميزه عن غيره ولا يكون
فيها مماثلا لخلقه فيقال له هكذا القول في جميع الصفات
وكل ما يثبته من الاسما والصفات فلا بد ان يدل على
قدر تتواطا فيه المسميات ولولا ذلك لما فهم الخطاب
ولكن نعلم ان ما اختص الله به وامتاز عن خلقه اعظم
مما يخطر بالبال ويدور في الخيال وهذا يتبين بالاصل
الثاني وهو ان يقال القول في الصفات كالقول
في الذات فان الله ليس كمثله شي لا في ذاته ولا في صفاته
ولا في افعاله فاذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات
فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات ساير الذوات
المخلوقات فاذا قال السايل كيف استوى على
العرش قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما الاستوا
معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسوال
عن الكيفية بدعة لانه سوال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم

مشترك

مطلب

الاستوى و نحو الا... الامام ما...

الاجابة عنه وكذلك اذا قال كيف ينزل ربنا الى سما الدنيا
قيل له كيف هو فاذا قال انا لا اعلم كيفيته قيل له ونحن النزول
لا نعلم كيفية نزوله اذ العلم بكيفية الصفة يستلزم
العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له فكيف تطالبني
بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوايه
ونزوله وانت لا تعلم كيفية ذاته واذا كنت تقر بان له
حقيقة ثابتة في نفس الامر مستوجبة لصفات الكمال
لا يماثلها شي فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواه
هو ثابت في نفس الامر وهو متصف بصفات الكمال التي
لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم
واستواوهم وهذا الكلام لازم لهم في العقليات
وفي تاويل السمعيات فان من اثبت شيا ونفى شيا
بالعقل الزم فيما نفاه من الصفات التي جا بها الكتاب اذا
والسنة نظير ما يلزمه فيما اثبته ولو طولب بالفرق بين
المحذور في هذا وهذا لم يجد بينهما فرقا ولهذا لا يوجد
لنفاة بعض الصفات دون بعض الذين يوجبون فيما نفوه
اما التفويض واما التاويل المخالف لمقتضى اللفظ قانون

مستقيم

14

مستقيمٌ فاذا قيل لهم تاولتم هذا واقررتم هذا والسؤال فيهما واحد لم يكن لهم جواب صحيح فهذا تناقضهم في النفي وكذلك تناقضهم في الاثبات فان من تاول النصوص على معنىً من المعاني التي يثبتها فانهم اذا صرفوا النص من المعنى الذي هو مقتضاه الى معنى آخر لزمهم في المعنى المصروف اليه ما كان يلزم في المعنى المصروف عنه فاذا قال قائل تاويل محبته ورضاه وغضبه وسخطه هو ارادته للثواب والعقاب كان ما يلزمه في الارادة نظير ما يلزمه في الحب والمقت والرضى والسخط ولو فسر ذلك بمفعولاته وهو ما يخلقه من الثواب والعقاب فانه يلزمه في ذلك نظير ما فر منه فان الفعل المعقول لا بد ان يقوم اولا بالفاعل والثواب والعقاب المعقول انما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه ويسخطه ويبغضه المثيب المعاقب فهم ان اثبتوا واما المثلان المضروبان فان الله سبحانه وتعالى اخبرنا عما في الجنة من المخلوقات من اصناف المطاعم والملابس والمناكح والمساكن فاخبرنا ان فيها لبنا وعسلا وخمرا وماءً ولحما وفاكهة وحريرا وذ

هبًا

النفاة على مثل الوجه المعتزلة وانما هم الجهمية
مثلوا وان اثبتوا على خلاف ذلك فلذلك الصفات فضلا

المثلان

وفضة وحريرا وقصورا وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
ليس في الدنيا شي مما في الجنة الا الاسما فاذا كانت تلك الحقايق
التي اخبر الله عنها هي موافقه في الاسما للحقايق الموجوده
في الدنيا وليست مماثله لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه الا الله
فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينه
المخلوق للمخلوق ومباينته لمخلوقاته اعظم من مباينة
موجود الاخره لموجود الدنيا اذ المخلوق اقرب الى
المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق الى المخلوق وهذا
بين واضح ولهذا افترق الناس في هذا المقام ثلث
فرق فالسلف والايمة واتباعهم امنوا بما اخبر الله به
عن نفسه وعن اليوم الاخر مع علمهم بالمباينه التي
بين ما في الدنيا وبين ما في الاخره وان مباينه الله لخلقه
اعظم والله سبحانه وتعالى لا تضرب له الامثال التي
فيها مماثلة لخلقه فان الله لا مثل له بل له المثل الاعلى فلا
يجوز ان يشترك هو والمخلوق في كمال فالخالق اولى
به وكل ما نزه عنه المخلوق من نقص فالخالق اولى
بالتنزيه عنه فاذا كان المخلوق منزها عن مماثله المخلوق

بينهما لم يسمها

في قياس ولا في قياس شمول تستوي
افراده ولكن يستعمل في حقه المثل الاعلى
وهو ان كل ما اتصف به المخلوق من كمال

15

مع الموافقة في الاسم فالخالق اولى ان ينزه عن مماثلة
المخلوق وان حصل موافقة في الاسم وهكذا القول
في المثل الثاني وهو الروح التي فينا فانها قد وصفت
صفات ثبوتية وسلبية وقد اخبرت النصوص انها تخرج
وتصعد من سماء الى سماء وانها تقبض من البدن وتسل
منه كما تسل الشعرة من العجين والناس مضطربون فيها
فمنهم طوايف من اهل الكلام يجعلونها جزءا من البدن
او صفة من صفاته كقول بعضهم انها النفس او الريح
التي تتردد في البدن وقول بعضهم انها الحياة او المزاج
او نفس البدن ومنهم طوايف من اهل الفلسفة يصفونها
بما يصفون به واجب الوجود وهي امور لا يتصف بها
الا الممتنع الوجود فيقولون لا هي داخل البدن ولا خارجه
ولا مباينة له ولا مداخلة ولا متحركة ولا ساكنة
ولا تصعد ولا تهبط ولا جسم ولا عرض وقد يقولون انها لا
تدرك الامور المعينة والحقايق الموجودة في الخارج
وانما تدرك الامور الكلية المطلقة وقد يقولون
انها لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينة له ولا مداخلة

المثل الثاني

قد

بصفات

عدم

هي

وربما قالوا ليست داخلة في اجسام العالم ولا خارجة عنها
مع تفسيرهم للجسم بما يقبل الاشارة الحسية فيصفونها
بانه لا يمكن الاشارة اليها ونحو ذلك من الصفات السلبية التي
يلحقها بالمعدوم والممتنع واذا قيل لهم اثبات مثل هذا
ممتنع في ضرورة العقل قالوا بل هذا ممكن بدليل ان
الكليات موجودة وهي غير مشار اليها وقد عقلوا ان كون
الكليات لا توجد كلية الا في الاذهان لا في الاعيان
فيعتمدون فيما يقولونه في المبدا والمعاد على مثل هذا
الخيال الذي لا يخفى فساده على غالب الجهال واضطراب
النفاة والمثبتة في الروح كثير وسبب ذلك ان الروح
التي تسمى بالنفس الناطقة عند الفلاسفة ليست هي
من جنس هذا البدن ولا من جنس العناصر والمتولدات
منها بل هي من جنس اخر مخالف لهذه الاجناس فصار
هؤلا لا يعرفونها الا بالسلوب التي توجب مخالفتها
للاجسام المشهودة واولئك يجعلونها من جنس الاجسام
المشهودة وكلا القولين خطا واطلاق القولين عليها
بانها جسم او ليست بجسم يحتاج الى تفصيل فان لفظ

الجسم للناس فيه اقوال متعددة اصطلاحية غير معناه
اللغوي فاهل اللغة يقولون الجسم هو الجسد والبدن
وبهذا الاعتبار فالروح ليست جسما ولهذا يقولون الروح
والجسم كما قال تعالى وإذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع
لقولهم وزاده بسطة في العلم والجسم واما اهل الكلام
فمنهم من يقول الجسم هو الموجود ومنهم من يقول هو المركب
من الجواهر المنفردة ومنهم من يقول هو المركب من المادة
والصورة ومنهم من يقول ليس بمركب لا من هذا ولا من هذا
بل هو ما يشار اليه ويقال انه هنا او هناك فعلى هذا
اذا كانت الروح مما يشار اليه ويتبعه بصر الميت كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الروح اذا خرج تبعه البصر
وانها تقبض وتعرج بها الى السماء كانت الروح جسما بهذا
الاصطلاح والمقصود ان الروح اذا كانت موجودة حية
عالمة قادرة سميعة بصيرة تصعد وتنزل وتذهب وتجي
ونحو ذلك من الصفات فالعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها
لانهم لم يشاهدوا لها نظيرا والشي انما تدرك حقيقته اما
بمشاهدته او بمشاهدة نظيره فاذا كانت الروح متصفة بهذه

ه

ومنهم من يقول هو القائم بنفسه

وكلهم يقولون ان الروح الانسان جسم

الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات
فالخالق اولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه
من اسمائه وصفاته واهل العقول اعجز ان يحدوه او يكيفوه
منهم عن ان يحدوا الروح او يكيفوها فاذا كان من نفي
صفات الروح جاحدا لها معطلا لها ومن مثلها بما يشاهد
المخلوقات جاهلا ممثلا لها بغير شكلها وهي مع
ذلك ثابتة بحقيقة الاثبات مستحقة لما لها من الصفات
فالخالق سبحانه وتعالى اولى ان يكون من نفى صفاته
جاحدا معطلا ومن قاسه بخلقه جاهلا به ممثلا
وهو سبحانه ثابت بحقيقة الاثبات مستحق لما له من الاسماء
والصفات فصل واما الخاتمة الجامعة ففيها
قواعد نافعة ٥ القاعدة الاولى ان الله سبحانه
موصوف بالاثبات والنفي فالاثبات كاخباره انه بكل شيء
عليم وانه على كل شيء قدير وانه سميع بصير ونحو ذلك
والنفي كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم وينبغي ان تعلم ان
النفي ليس فيه مدح ولا كمال الا اذا تضمن اثباتا والا فمجرد
النفي ليس فيه مدح ولا كمال لان النفي المحض عدم محض والعدم

مطلب
مهم
فصل

المحض ليس بشي وما ليس بشي هو كما قيل ليس بشي فضلا
عن ان يكون مدحا او كمالا ولان النفي المحض يوصف به
المعدوم والممتنع والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال
فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي
متضمنا لاثبات مدح كقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم
لا تاخذه سنة ولا نوم الى قوله ولا يوده حفظهما وهو
فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحيوة والقيام فهو مبين
لكمال انه الحي القيوم وكذلك قوله ولا يوده حفظهما اي لا
يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها
بخلاف المخلوق القادر اذا كان يقدر على الشي بنوع
كلفة ومشقة فان هذا نقص في قدرته وعيب
في قوته وكذلك قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض فان نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل
ذرة في السموات والارض وكذلك قوله تعالى ولقد
خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا
من لغوب فان نفي مس اللغوب الذي هو التعب والاعيا
دل على كمال القدرة ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذي

يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه وكذلك قوله لا تدركه
الابصار انما نفى الادراك الذي هو الاحاطه كما قاله
اكثر العلماء ولم ينف مجرد الرويه لان المعدوم لا يرى وليس
في كونه لا يرى مدح اذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحا
وانما المدح في كونه لا يحاط به وان رئي كما انه لا يحاط به
وان علم وكما انه اذا علم لا يحاط به علما فكذلك اذا رئي
لا يحاط به رويه وكان في نفي الادراك من اثبات عظمته ما
يكون مدحا وصفة كمال وكان ذلك دليلا على اثبات
الرويه لا على نفيها لكنه دليل على اثبات الرويه مع عدم
الاحاطه وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الامه
وايمتها واذا تاملت ذلك وجدت كل نفي لا يستلزم
ثبوتا هو مما لم يصف الله به نفسه فالذين لا يصفونه الا بالسلوب
لم يثبتوا في الحقيقه الها محمودا بل ولا موجودا وكذلك
من شاركهم في بعض ذلك كالذين قالوا انه لا يتكلم او لا
يرى او ليس فوق العالم او لم يستو على العرش ويقولون
انه ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا مباين للعالم ولا
محايث له اذ هذه الصفات يمكن ان يوصف بها المعدوم

ولبست هي مستلزمة صفة ثبوت ولهذا قال محمود بن
سبكتكين لمن ادعى ذلك في الخالق ميز لنا بين هذا الرب
الذي تثبته وبين المعدوم وكذلك كونه لا يتكلم او لا ينزل
ليس في ذلك صفة مدح ولا كمال بل هذه الصفات تشبيه فيهما
له بالمنقوصات او المعدومات فهذه الصفات
منها ما لا يتصف به الا المعدوم ومنها ما لا يتصف به
الا الجماد او الناقص فمن قال لا هو مباين للعالم ولا مداخل
للعالم فهو بمنزلة من قال لا هو قايم بنفسه ولا بغيره ولا قديم
ولا محدث ولا متقدم على العالم ولا مقارن له ومن قال
انه ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا متكلم لزمه ان
يكون ميتا اصم اعمى ابكم فان قال العمى عدم البصر عما
من شانه ان يقبل البصر وما لم يقبل البصر كالحايط لا يقال
له اعمى ولا بصير قيل له هذا اصطلاح اصطلحتموه
والا فما يوصف بعدم الحيوة والسمع والكلام يمكن وصفه
بالموت والعمى والخرس والعجمة وايضا فكل موجود يقبل
الاتصاف بهذه الامور ونقايضها فان الله قادر على جعل
الجماد حيا كما جعل عصى موسى حية ابتلعت الحبال والعصى

وايضا فالذي لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات اعظم نقصا
مما يقبل الاتصاف بها مع اتصافه بنقايضها فالجماد الذي
لا يوصف بالبصر ولا العمى ولا الكلام ولا الخرس اعظم
نقصا من الحي الاعمى الاخرس فاذا قيل ان الباري لا يمكن
اتصافه بذلك كان في ذلك من وصفه بالنقص اعظم مما اذا
وصف بالخرس والعمى والصمم ونحو ذلك مع انه اذا جعل
غير قابل لهما كان تشبيها له بالجماد الذي لا يقبل
الاتصاف بواحد منهما وهذا تشبيه بالجمادات لا بالحيوانات
فكيف ينكر من قال ذلك على غيره ما يزعم انه تشبيه
بالحي وايضا فنفس نفي هذه الصفات نقص كما ان اثباتها
كمال فالحيوة من حيث هي هي مع قطع النظر عن تعيين
الموصوف بها صفة كمال وكذلك العلم والقدرة والسمع
والبصر والكلام والعقل ونحو ذلك وما كان صفة كمال
فهو سبحانه وتعالى احق بان يتصف به من المخلوقات فلو لم
يتصف به مع اتصاف المخلوق به لكان المخلوق اكمل منه
واعلم ان الجهمية المحضة كالقرامطة ومن ضاهاهم ينفون
عنه تعالى اتصافه بالنقيضين حتى يقولوا ليس بموجود

ولا ليس بموجود ولا حي ولا ليس بحي ومعلوم ان الخلو عن
النقيضين ممتنع في بداية العقول كالجمع بين النقيضين
واخرون وصفوه بالنفي فقط فقالوا ليس بحي ولا سميع ولا
بصير وهولاء اعظم كفرا من اولئك من وجه
وهولا اعظم كفرا من اولئك فاذا قيل لهولاء هذا
يستلزم وصفه بنقيض ذلك كالموت والصمم والبكم
قالوا انما يلزم ذلك لو كان قابلا لذلك وهذا الاعتذار يزيد
قولهم فسادا وكذلك من ضاهاهولاء وهم الذين
يقولون ليس بداخل العالم ولا خارجه اذا قيل هذا ممتنع
في ضرورة العقل كما اذا قيل ليس بقديم ولا محدث
ولا واجب ولا ممكن ولا قايم بنفسه ولا قايم بغيره قالوا هذا
انما يكون اذا كان قابلا لذلك والقبول انما يكون من المتحيز
فاذا انتفى التحيز انتفى قبول هذين المتناقضين فيقال
لهم علم الخلق بامتناع الخلو عن هذين النقيضين هو علم
مطلق لا يستثنى منه موجود والتحيز المذكور ان
اريد به كون الاحياز الموجودة تحيط به فهذا هو الداخل
في العالم وان اريد به انه منحاز عن المخلوقات اي مباين لها

هو امن وجه ا

لهم

متميز عنها وهذا هو الخروج فالمتحيز يراد به تارة ما هو
داخل العالم وتارة ما هو خارج العالم فاذا قيل ليس بمتحيز كان
معناه ليس بداخل العالم ولا خارجه فهم غيروا العبارة ه
ليوهموا من لا يفهم حقيقة قولهم ان هذا معنى اخر وهو المعنى
الذي علم فساده بضرورة العقل كما فعل اولئك في قولهم ليس بحي
ولا ميت ولا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل والله اعلم

القاعدة الثانية

القاعدة الثانية ٥ ان ما اخبر به الرسول عن
ربه فانه يجب الايمان به سوا عرفنا معناه او لم نعرف لانه
الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل
مومن الايمان به وان لم يفهم معناه وكذلك ما ثبت باتفاق
سلف الامة وايمتها مع ان هذا الباب يوجد عامته منصوصا
في الكتاب والسنة متفقا عليه بين سلف الامة وما تنازع فيه
المتاخرون نفيا واثباتا فليس على احد بل ولا له ان يوافق
احدا على اثبات لفظ او نفيه حتى يعرف مراده فان اراد
حقا قبل وان اراد باطلا رد وان اشتمل كلامه على حق وباطل
لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر
المعنى كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك فلفظ

الجهة

٢٠

الجهة وقد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا كما
اذا اريد بالجهة نفس العرش او نفس السموات وقد يراد به
ما ليس بموجود غير الله كما اذا اريد بالجهة ما فوق العالم
ومعلوم انه ليس في النص اثبات لفظ الجهة ولا نفيه
كما فيه اثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج اليه
ونحو ذلك وقد علم انه ما ثم موجود الا الخالق او المخلوق
والخالق مباين للمخلوق سبحانه وتعالى ليس في مخلوقاته
شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته فيقال لمن نفى
ان يريد بالجهة انها شيء موجود مخلوق فالله ليس داخلا
في المخلوقات ام تريد بالجهة ما وراء العالم فلا ريب
ان الله فوق العالم باين من المخلوقات وكذلك يقال
لمن قال الله في جهة اتريد بذلك ان الله فوق العالم او تريد
به ان الله داخل في شيء من المخلوقات فان اردت الاول
فهو حق وان اردت الثاني فهو باطل وكذلك لفظ
المتحيز ان اراد به ان الله تحوزه المخلوقات فالله اعظم
واكبر بل قد وسع كرسيه السموات والارض وقد قال تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة

مطلب

انه

والسموات مطويات بيمينه وقد ثبت في الصحاح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يقبض الله الارض ويطوي السموات
بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي حديث ابن عباس
ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن في يد
الرحمن الا كخردلة في يد احدكم وفي حديث اخر وانه
ليدحوها كما يدحوا الصبيان بالكره وان اريد به انه مجانب
عن المخلوقات اي مباين لها منفصل عنها ليس حالا فيها فهو
سبحانه كما قال ائمة السنة فوق سمواته على عرشه باين من خلقه
القاعدة الثالثة اذا قال القايل ظاهر النصوص
مراد او ظاهرها ليس بمراد فانه يقال لفظ الظاهر
فيه اجمال واشتراك فان كان القايل يعتقد ان ظاهرها
التمثيل بصفات المخلوقين او ما هو من خصايصهم فلا ريب
ان هذا غير مراد لكن السلف والايمه لم يكونوا يسمون
هذا ظاهرها ولا يرتضون ان يكون ظاهر القران
والحديث كفرا وباطلا والله اعلم واحكم من ان يكون كلامه الذي
وصف به نفسه لا يظهر منه الا ما هو كفر واضلال
والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين تارة يجعلون
المعنى

القاعدة الثالثة

المعنى الفاسد ظاهر اللفظ حتى يجعلوه محتاجا الى تاويل
يخالف الظاهر ولا يكون كذلك وتارة يردون المعنى الحق الذي
هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم انه باطل والاول كما قالوا
في قوله عبدي جعت فلم تطعمني الحديث وفي الاثر مطلب
الاخر الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله
فكانما صافح الله وقبل يمينه وقوله قلوب العباد بين
اصبعين من اصابع الرحمن فقالوا قد علم ان ليس في قلوبنا
اصابع الحق فيقال لهم لو اعطيتم النصوص حقها من الدلالة
لعلمتم انها لا تدل الا على الحق اما الواحد فقوله
الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله فكانما
صافح الله وقبل يمينه صريح في ان الحجر الاسود ليس صفة
لله ولا هو نفس يمينه لانه قال يمين الله في الارض وقال
فمن قبله وصافحه فكانما صافح الله وقبل يمينه ومعلوم
ان المشبه ليس هو المشبه به ففي نفس الحديث بيان
ان مستلمه ليس مصافحا لله وانه ليس هو نفس يمينه فكيف
يجعل ظاهره كفرا وانه محتاج الى التاويل مع ان
هذا الحديث انما يعرف عن ابن عباس واما الحديث الاخر فهو

في الصحيح مفسر يقول الله عبدي جعت فلم تطعمني فيقول
رب كيف اطعمك وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي
فلانا جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندي عبدي مرضت
فلم تعدني فيقول رب كيف اعودك وانت رب العالمين فيقول اما
علمت ان عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده وهذا نفسه
صريح في ان الله سبحانه لم يمرض ولم يجع ولكن مرض عبده
وجاع فجعل جوعه جوعه ومرضه مرضه مفسرا ذلك
بانك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي ولو عدته لوجدتني عنده
فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج الى تاويل واما قوله قلوب
العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن فانه ليس في ظاهره
ان القلب متصل بالاصبع ولا مماس لها ولا انها في جوفه ولا في
قول القايل هذا بين يدي ما يقتضي مباشرته ليديه واذا قيل
السحاب المسخر بين السما والارض لم يقتض ان يكون مماسا
للسموات والارض ونظاير هذا كثيرة ومما يشبه هذا اذا
ان جعل اللفظ نظير ما ليس مثله كما قيل في قوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فقيل هو مثل قوله اولم
يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهذا ليس مثل
هذا لانه هنا اضاف الفعل الى الايدي فصار شبيها بقوله

بما كسبت أيديهم وهناك أضاف الفعل إليه فقال لما خلقت
ثم قال بيدي وأيضا فإن هنا ذكر نفسه المقدسة بصيغة
المفرد وفي اليدين ذكر لفظ التثنية كما في قوله بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشاء وهناك أضاف الأيدي إلى صيغة الجمع
فصار كقوله تجري بأعيننا وهذا في الجمع نظير قوله
بيده الملك وبيدك الخير في المفرد فالله سبحانه يذكر
نفسه تارة بصيغة المفرد مظهرا ومضمرا وتارة
بصيغة الجمع كقوله إنا فتحنا لك فتحا مبينا وأمثال
ذلك ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط لأن صيغة
الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه وربما تدل على
معاني أسمائه وأما صيغة التثنية فتدل على العدد
المحصور وهو مقدس عن ذلك فلو قال ما منعك أن
تسجد لما خلقت بيدي كان كقوله مما عملت
أيدينا وهو نظير قوله بيده الملك وبيده الخير ولو قال
بصيغة الإفراد لكان مفارقا له فكيف إذا قال خلقت بيدي
بصيغة التثنية هذا مع دلالة الأحاديث المستفيضة
بل المتواترة وإجماع السلف على مثل ما دل عليه القرآن

ان خلقت بيدي صح

كما هو مبسوط في موضعه مثل قوله المقسطون عند الله

على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون

في حكمهم واهليهم وما ولوا وامثال ذلك وان كان

القايل يعتقد ان ظاهر النصوص المتنازع في معناها من جنس

ظاهر النصوص المتفق على معناها والظاهر هو المراد

في الجميع فان الله تعالى لما اخبر انه بكل شي عليم وانه

على كل شي قدير واتفق اهل السنة وايمة المسلمين على

ان هذا على ظاهره وان ظاهر ذلك مراد كان من المعلوم انهم

لم يريدوا بهذا الظاهر ان يكون علمه كعلمنا وقدرته

كقدرتنا ولذلك لما اتفقوا على انه حي حقيقة عالم حقيقة

قادر حقيقة لم يكن مرادهم انه مثل المخلوق الذي

هو حي عليم قدير فكذلك اذا قالوا في قوله يحبهم ويحبونه

رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله ثم استوى على

العرش انه على ظاهره لم يقتض ذلك ان يكون ظاهره

استوا كاستوا المخلوق ولا حبا كحبه ولا رضى

كرضاه فان كان المستمع يظن ان ظاهر الصفات تماثل

صفات المخلوقين لزمه ان لا يكون شي من ظاهر ذلك

علي

مطلب

مرادا وان كان يعتقد ان ظاهرها ما يليق بالخالق لم يكن
عليه نفي هذا الظاهر ونفي ان يكون مرادا الا بدليل
يدل على النفي وليس في العقل ولا السمع ما ينفي هذا
الا من جنس ما ينفي به سائر الصفات فيكون الكلام
في الجميع واحدا وبيان هذا ان صفاتنا منها ما هي
اعيان واجسام وهي ابعاض لنا كالوجه واليد
ومنها ما هو معان واعراض وهي قائمة بنا كالسمع
والبصر والكلام والعلم والقدرة ثم ان من المعلوم ان
الرب لما وصف نفسه بانه حي عليم قدير لم يقل المسلمون
ان ظاهر هذا غير مراد لان مفهوم ذلك في حقه
مثل مفهومه في حقنا فكذلك لما وصف نفسه بانه خلق
آدم بيديه لم يوجب ذلك ان يكون ظاهره غير مراد
لان مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا بل صفة
الموصوف تناسبه فاذا كانت نفسه المقدسة ليست
مثل ذوات المخلوقين فصفاته كذاته ليست كصفات
المخلوقين ونسبة صفات المخلوق اليه كنسبة صفة
الخالق اليه وليس المنسوب كالمنسوب ولا المنسوب

هذا

مطلب

اليه كالمنسوب اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبه الروية بالروية لا المرى بالمرى وهذا يتبين بالقاعدة الرابعة وهو ان كثيرا من الناس يتوهم في بعض الصفات او كثير منها او اكثرها او كلها انها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد ان ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في اربعة انواع من المحاذير احدها كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن ان مدلول النصوص هو التمثيل الثاني انه اذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله بقيت النصوص معطله عما دلت عليه من اثبات الصفات اللايقه بالله فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السي الذي ظنه بالله ورسوله حيث ظن ان الذي يفهم من كلامهما هو التمسك الباطل قد عطل ما اودع الله ورسوله في كلامهما من اثبات الصفات لله والمعاني الالهية اللايقه بجلال الله الثالث انه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب الرابع انه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الاموات والجمادات او صفات المعدومات

فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب ومثله
بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت
عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات
فيجمع في كلام الله بين التعطيل والتمثيل فيكون ملحدا
في اسماء الله وآياته مثال ذلك ان النصوص كلها دلت
على وصف الله بالعلو والفوقية على المخلوقات
واستوائه على العرش فاما علوه ومباينته للمخلوقات
فيعلم بالعقل الموافق للسمع واما الاستواء على العرش
فطريق العلم به هو السمع وليس في الكتاب والسنة وصف
له بانه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله
فيظن المتوهم انه اذا وصف بالاستواء على العرش
كان استواؤه كاستواء الانسان على ظهور الفلك والانعام
كقوله وسخر لكم من الفلك والانعام ما تركبون
لتستووا على ظهوره فيتخيل انه اذا كان مستويا على
العرش محتاجا اليه كحاجة المستوي على الفلك والانعام
فلو انخرقت السفينة لسقط المستوي عليها ولو عثرت
الدابة لخر المستوي عليها فقياس هذا انه لو عدم العرش

وفي الله و

مثال ذلك

م

كان

لسقط الرب تبارك وتعالى ثم يريد بزعمه ان ينفي هذا
فيقول ليس استواؤه بقعود ولا استقرار ولا يعلم
ان مسمى القعود والاستقرار يقال فيه ما يقال في
مسمى الاستواء فان كانت الحاجة داخلة في ذلك فلا فرق
بين الاستوا والقعود والاستقرار وليس هو بهذا
المعنى مستويا ولا مستقرا ولا قاعدا وان لم يدخل
في مسمى ذلك الا ما يدخل في مسمى الاستوا فاثبات احدهما
ونفي الاخر تحكم وقد علم ان بين مسمى الاستوا والاستقرار
والقعود فروقا معروفة ولكن المقصود هنا ان يعلم
خطا من ينفي الشي مع اثبات نظيره وكان هذا الخطا
من خطائه في مفهوم استوائه على العرش حيث ظن انه
مثل استوا الانسان على ظهور الانعام والفلك وليس في اللفظ
ما يدل على ذلك لانه اضاف الاستوا الى نفسه الكريمه
كما اضاف اليه سائر افعاله وصفاته فذكر انه خلق ثم استوى
كما ذكر انه قدر فهدى وانه بنى السما بايد وكما ذكر انه
مع موسى وهرون يسمع ويرى وامثال ذلك فلم يذكر استوا
مطلقا يصلح للمخلوق ولا عاما يتناول المخلوق كما لم يذكر

مثل ذلك في سائر صفاته وانما ذكر استوا اضافه العرض
الى نفسه الكريمه فلو قدر على وجه الممتنع انه هو مثل خلقه
تعالى عن ذلك لكان استواه مثل استوا خلقه فاما
اذا كان هو ليس مماثلا لخلقه بل قد علم ان الله الغني عن
الخلق وانه الخالق للعرش ولغيره وان كل ما سواه
مفتقر اليه وهو الغني عن كل ما سواه وهو لم يذكر
الاستواء بخصه كما لم يذكر استوا ايتنا ولغيره
ولا يصلح له كما لم يذكر في علمه وقدرته ورويته وسمعه
وخلقه الا ما يختص به فكيف يجوز ان يتوهم انه اذا
كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه وانه لو سقط
العرش لخر من عليه سبحانه وتعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا هل هذا الا جهل محض وضلال
ممن فهم ذلك او ظنه او توهمه ظاهر اللفظ ومدلوله
او جوز ذلك على رب العالمين الغني عن الخلق بل لو قدر
ان جاهلا فهم مثل هذا او توهمه لبين له ان هذا
لا يجوز وانه لم يدل عليه اللفظ اصلا كما لم يدل على
نظايره في سائر ما وصف به الرب نفسه فلما قال

بد

تعالى والسما بنيناها بايد فهل يتوهم ان بناه مثل بنا الادمى
المحتاج الذى يحتاج الى زنبيل ومجارف واعوان وضرب
لبن وجبل طين ثم قد علم ان الله تعالى خلق العالم بعضه
فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقرا الى سافله فالهوا
فوق الارض وليس مفتقرا الى ان تحمله الارض والسحاب
ايضا فوق الارض وليس مفتقرا الى ان تحمله الارض
والسموات فوق الارض وليست مفتقرة الى حمل الارض
لها فالعلي الاعلى رب كل شي ومليكه اذا كان فوق
جميع خلقه كيف يجب ان يكون محتاجا الى خلقه
او عرشه او كيف يستلزم علوه على خلقه هذا
الافتقار وهو ليس بمستلزم في المخلوقات وقد علم
ان ما ثبت لمخلوق من الغنى عن غيره فالخالق
سبحانه وتعالى احق به واولى وكذلك قوله امنتم من
في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور من توهم
ان مقتضى هذه الاية ان يكون الله في داخل السموات
فهو جاهل ضال بالاتفاق وان كنا اذا قلنا ان الشمس
والقمر في السماء يقتضي ذلك فان حرف في متعلق بما قبله

26

وما بعده فهو بحسب المضاف والمضاف اليه فلهذا يفرق بين
كون الشي في المكان وكون الجسم في الحيز وكون العرض في
الجسم وكون الوجه في المراة وكون الكلام في الورق فان لكل
نوع من هذه الانواع خاصة يتميز بها عن غيره وان
كان حرف في مستعملا في ذلك فلو قال قايل العرش
في السماء او في الارض لقيل في السما ولو قيل الجنة في السماء
او في الارض لقيل الجنة في السما لم يلزم من ذلك ان تكون
الجنة في السماء التي لم يلزم من ذلك ان يكون العرش داخل
السموات بل ولا الجنة وقد ثبت في الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم الله الجنة
فاسلوه الفردوس فانها اعلى الجنة واوسط الجنة وسقفها
عرش الرحمن فهذه الجنة بسقفها الذي هو العرش
فوق الافلاك مع ان الجنة في السماء والسما يراد به العلو
سوا كان فوق الافلاك او تحتها قال الله تعالى فليمدد
بسبب الى السما وقال تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا ولما
كان قد استقر في نفوس المخاطبين ان الله هو العلي
الاعلى وانه فوق كل شي كان المفهوم من قوله في السماء انه

في العلو وان كان فوق كل شيء وكذلك الجارية لما قال
لها اين الله قالت في السماء انما ارادت العلو مع عدم تخصيصه
بالاجسام المخلوقة وحلوله فيها واذا قيل العلو فانه
يتناول ما فوق المخلوقات كلها فما فوقها كلها هو في السماء ولا
يقتضي هذا ان يكون هناك ظرف وجودي يحيط به اذ
ليس فوق العالم شي موجود الا الله كما لو قيل العرش في
السماء فانه لا يقتضي ان يكون العرش في شي اخر
موجود مخلوق وان قدر ان السما المراد بها الافلاك
كان المراد انه عليها كما قال ولاصلبنكم في جذوع النخل
وكما قال فسيروا في الارض وكما قال فسيحوا في الارض
ويقال فلان في الجبل وفي السطح وان كان على اعلى
شي فيه القاعده الخامسه انا نعلم
ما اخبرنا به من وجه دون وجه فان الله تعالى قال افلا
يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا وقال افلم يدبروا القول وقال كتاب
انزلناه مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب اليك
وقال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها

21

فامر بتدبر الكتاب كله وقد قال هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنه وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا
وما يذكر الا اولوا الالباب وجماهير سلف الامه
وخلفها على ان الوقف عند قوله وما يعلم الا
تاويله الا الله وهذا هو الماثور عن ابي ابن كعب
وابن مسعود وابن عباس وغيرهم وروى عن ابن
عباس انه قال التفسير على اربعة اوجه
تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر
احد بجهالته وتفسير يعلمه العلما وتفسير لا يعلمه
الا الله من ادعى علمه فهو كاذب وقد روى عن مجاهد
وطايفة ان الراسخين في العلم يعلمون تاويله وقد قال
مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته
الى خاتمته اقف عند كل ايه واساله عن تفسيرها
ولا منافاة بين القولين عند اهل التحقيق فان لفظ

التاويل تدصار بتعدد الاصطلاحات مستعملا في ثلثه
معان احدها وهو اصطلاح كثير من المتاخرين المتكلمين
في الفقه واصوله هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى
الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به وهذا هو الذي عناه   ان التاويل
اكثر من تكلم من المتاخرين في تاويل نصوص الصفات
وترك تاويلها وهل ذلك محمودا ومذموم حق او باطل والثاني
ان التاويل بمعنى التفسير وهذا هو الغالب على اصطلاح
المفسرين للقران كما يقول ابن جرير وامثاله من المصنفين
في التفسير واختلف علما التاويل ومجاهد امام المفسرين
قال الثوري اذا جاك التفسير عن مجاهد فحسبك   صوابه التاويل
به وعلى تفسيره يعتمد الشافعي والبخاري وغيرهما
فاذا ذكر انه يعلم تاويل المتشابه فالمراد به معرفه
تفسيره الثالث من معاني التاويل هو الحقيقه التي
يوول اليها الكلام كما قال تعالى هل ينظرون الا تاويله
يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جات رسل
ربنا بالحق فتاويل ما في القران من اخبار المعاد هو ما اخبر
الله تعالى فيه مما يكون من القيامه والحساب والجزاء

28

والجنة والنار ونحو ذلك كما قال في قصة يوسف لما سجد
ابواه واخوته قال يا ابت هذا تاويل رويای من قبل فجعل عين ما
وجد في الخارج هو تاويل الرويا فالتاويل الثاني هو تفسير الكلام
وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه او
يعرف علته او دليله وهذا التاويل الثالث هو عين
ما هو موجود في الخارج ومنه قول عايشة كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم
ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران تعني صح قوله
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقول سفيان بن عيينة السنة
هي تاويل الامر والنهي فان نفس الفعل المامور به هو
تاويل الامر به ونفس الموجود المخبر عنه هو تاويل
الخبر والكلام خبر وامر ولهذا يقول ابو عبيد
وغيره الفقها اعلم بالتاويل من اهل اللغة كما ذكروا
ذلك في تفسير اشتمال الصما لان الفقها يعلمون نفس ما امر
به ونهي عنه لعلمهم بمقاصد الرسول وذلك كما يعلم
اتباع بقراط وسيبويه ونحوهما من مقاصدهم ما لا
يعلم بمجرد اللغة ولكن تاويل الامر والنهي لا بد من معرفته

بخلاف ما ومثل الخبر اذا عرف ذلك فبينا وبل ما اخبر الله
به عن نفسه المقدسة بما لها من حقايق الاسماء والصفات
هو حقيقة المقدسة المتصفة بما لها من الصفات
وتارة ما اخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الاخر فيه
الفاظ متشابهة تشبه معانيها ما يعلمه الناس في الدنيا
كما اخبر ان في الجنة لحما ولبنا وعسلا وخمرا ونحو
ذلك وهذا يشبه ما في الدنيا لفظا ومعنى ولكن
ليس هو مثله ولا حقيقته كحقيقته فاسماء الله وصفاته
اولى وان كان بينها وبين اسماء العباد وصفاتهم
تشابه ان لا يكون لاجلها الخالق مثل المخلوق ولا حقيقته
كحقيقته والاخبار عن الغايب لا يفهم ان لم يعبر
عنه بالاسماء المعلوم معانيها في الشاهد ويعلم
بها ما في الغايب بواسطة العلم بما في الشاهد
مع العلم بالفارق المميز وان ما اخبر الله به من الغيب
اعظم مما يعلم في الشاهد وفي الغايب ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فنحن اذا
اخبرنا الله بالغيب الذي اختص به من الجنة والنار

نفسه

من الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من الوعد والوعيد ولهذا [illegible]
دون [illegible] بما لا [illegible]

علمنا معنى ذلك وفهمنا ما اريد منا فهمه بذلك
الخطاب وفسرنا ذلك واما نفس الحقيقة المخبر
عنها مثل التي لم تكن بعد وانما تكون يوم القيامة
فذلك من التاويل الذي لا يعلمه الا الله ولهذا لما
سيل مالك وغيره من السلف عن قوله الرحمن على
العرش استوى قالوا الاستوا معلوم والكيف
مجهول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة
وكذلك قال ربيعة شيخ مالك قبله الاستوا معلوم
والكيف مجهول ومن الله البيان وعلى رسوله البلاغ
وعلينا الايمان فبين ان الاستوا معلوم وان كيفية
ذلك مجهولة ومثل هذا يوجد كثير في كلام
السلف والايمة ينفون علم العباد بكيفية صفات
الله وانه لا يعلم كيف الله الا الله ولا يعلم ما هو
الا هو وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا احصي
ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك وهذا في صحيح
مسلم وغيره وقال في الحديث الاخر اللهم اني
اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك

او علمته احدًا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب
عندك وا لحديث في المسند وفي صحيح ابي حاتم وقد
اخبر فيه ان لله من الاسما ما استاثر به في علم الغيب
عنده فمعاني هذه الاسما التي استاثر بها في علم
الغيب عنده لا يعلمها الا هو والله سبحانه اخبرنا
انه عليم قدير سميع بصير غفور رحيم الى غير ذلك
من اسمايه وصفاته فنحن نفهم معنى ذلك ونميز بين العلم
والقدرة وبين الرحمة والسمع والبصر ونعلم
ان الاسما كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله مع تنوع
معانيها فهي متفقة متواطية من حيث الذات
متباينة من جهة الصفات وكذلك اسما النبي صلى الله
عليه وسلم مثل محمد واحمد والماحي والحاشر والعاقب
وكذلك اسما القران مثل القران والفرقان والهدى
والنور والتنزيل والشفا وغير ذلك ومثل هذه
الاسما تنازع الناس فيها هل هي من قبيل المترادفة
لاتحاد الذات او من قبيل المتباينة لتعدد الصفات
كما اذا قيل السيف والصارم والمهند وقصد

بالصارم بمعنى الصرم وفى المهند النسبة الى الهند والتحقيق
انها مترادفة فى الذات متباينة فى الصفات ومما يوضح
هذا ان الله وصف القران كله بانه محكم وبانه متشابه
وفى موضع اخر جعل منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه
فينبغى ان يعرف الاحكام والتشابه الذى يعمه والاحكام والتشابه
الذى يخص بعضه قال الله تعالى الر كتاب
احكمت اياته ثم فصلت فاخبر انه احكم اياته كلها
وقال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى
فاخبر انه كله متشابه والحكم هو الفصل
بين الشيئين فالحاكم يفصل بين الخصمين والحكمة فصل
بين المشتبهات علما وعملا اذا ميز بين الحق والباطل
والصدق والكذب والنافع والضار وذلك يتضمن
فعل النافع وترك الضار فيقال حكمت السفيه
واحكمته اذا اخذت على يده وحكمت الدابة واحكمتها
اذا جعلت لها حكمة وهو ما احاط بالحنك من اللجام
واحكام الشى اتقانه فاحكام الكلام اتقانه
بتمييز الصدق من الكذب فى اخباره وتمييز الرشاد

من الغي في أوامره والقرآن كله محكم بمعنى الاتقان
فقد سماه الله حكيما بقوله تلك آيات الكتاب الحكيم
فالحكيم بمعنى الحاكم كما جعله يقص بقوله ان
هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه
يختلفون وجعله مفتيا في قوله قل الله يفتيكم فيهن
وما يتلى عليكم في الكتاب اي ما يتلى عليكم يفتيكم فيهن
وجعله هاديا ومبشرا في قوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصلحات واما المتشابه الذي عمه فهو ضد
الاختلاف المنفي عنه في قوله ولو كان من عند غير
الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا الاختلاف المذكور
في قوله انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك
فالمتشابه هنا هو تماثل الكلام وتناسبه بحيث
يصدق بعضه بعضا فاذا امر بامر لم يامر بنقيضه في
موضع اخر بل يامر به او بنظيره او بملزوماته
واذا نهى عن شيء لم يامر به في موضع اخر بل ينهى عنه
او عن نظيره او عن لوازمه اذا لم يكن هناك نسخ وكذلك
اذا

31

اذا اخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك بل يخبر بثبوته او
ثبوت ملزوماته واذا اخبر بنفي شيء لم يثبته بل ينفيه او
ينفي لوازمه بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضا
فيثبت الشيء تارة وينفيه اخرى او يامر به وينهى عنه
في وقت واحد او يفرق بين المتماثلين فيمدح احدهما ويذم
الاخر والاقوال المختلفة هنا هي المتضادة والمتشابهة
هي المتوافقة وهذا التشابه يكون في المعاني فاذا
كانت المعاني يوافق بعضها بعضا ويعضد بعضها بعضا
ويناسب بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض او يقتضي
بعضها بعضا كان الكلام متشابها بخلاف الكلام المتناقض
الذي يضاد بعضه بعضا فهذا التشابه العام لا ينافي
الاحكام العام بل هو مصدق له فان الكلام المحكم
المتقن يصدق بعضه بعضا لا يناقض بعضه بعضا
بخلاف الاحكام الخاص فانه ضد التشابه الخاص
والتشابه الخاص هو مشابهة الشيء لغيره من وجه
مع مخالفته له من وجه اخر بحيث يشتبه على
بعض الناس انه هو هو او هو مثله وليس كذلك

وان التكلف بالكلام

والاحكام فهو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه احدهما بالآخر
وهذا التشابه انما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود
الفاصل بينهما ثم من الناس من لا يهتدي للفصل بينهما فيكون
مشتبها عليه ومنهم من يهتدي الى ذلك فالتشابه الذي
لا يتميز معه قد يكون من الامور النسبية الاضافية بحيث
يشتبه على بعض الناس دون بعض ومثل هذا يعرف منه اهل
العلم ما يزيل عنهم هذا الاشتباه كما اذا اشتبه على
بعض الناس ما وعدوا به في الآخرة بما يشهدونه
في الدنيا وظن انه مثله فعلم العلما انه ليس هو مثله
وان كان مشبها له من بعض الوجوه ومن هذا الباب
الشبه التي يضل بها بعض الناس وهي ما يشتبه الحق فيها
بالباطل حتى يشتبه على بعض الناس ومن اوتي العلم
بالفصل بين هذا وهذا لم يشتبه عليه الحق بالباطل
والقياس الفاسد انما هو من باب الشبهات لانه
تشبيه للشي في بعض الامور بما لا يشبهه فيه فمن عرف
الفصل بين الشيئين اهتدى للفرق الذي يزول به الاشتباه
والقياس الفاسد وما من شيئين الا ويجتمعان في شي ويفترقان

في شي بينهما اشتباه من وجه وافتراق من وجه
ولهذا كان ضلال بني ادم من قبل التشابه والقياس الفاسد
لا ينضبط كما قال الامام احمد اكثر ما يخطي الناس
من جهة التاويل والقياس فالتاويل في الادلة السمعية
والقياس في الادلة العقلية وهو كما قال والتاويل
الخطا انما يكون في الالفاظ المتشابهة والقياس الخطا
انما يكون في المعاني المتشابهة وقد وقع بنو ادم في عامة
ما يتناوله هذا الكلام من انواع الضلالات حتى آل
الامر بمن يدعي التحقيق والتوحيد والعرفان منهم الى
ان اشتبه عليهم وجود الرب بوجود كل موجود وظنوا
انه هو فجعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق
مع انه لا شي ابعد عن مماثلة شي او ان يكون اياه او
متحدا به او حالا فيه من الخالق مع المخلوق فمن اشتبه
عليهم وجود الخالق بوجود المخلوقات كلها
حتى ظنوا وجودها وجوده فهم اعظم الناس ضلالا
من جهة الاشتباه وذلك ان الموجودات تشترك
في مسمى الوجود فراوا الوجود واحدا ولم يفرقوا

من الواحد بالعين والواحد بالنوع واخرون توهموا انه اذا
قيل الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم التشبيه
والتركيب فقالوا لفظ الوجود مشترك بالاشتراك اللفظي
فخالفوا ما اتفق عليه العقلا مع اختلاف اصنافهم من
ان الوجود ينقسم الى قديم ومحدث ونحو ذلك من
اقسام الموجودات وطايفة ظنت انه اذا كانت
الموجودات تشترك في مسمى الوجود لزم ان يكون في
الخارج عن الاذهان موجود مشترك فيه وزعموا ان في
الخارج عن الاذهان كليات مطلقة مثل وجود مطلق
وحيوان مطلق وجسم مطلق ونحو ذلك فخالفوا الحس
والعقل والشرع وجعلوا ما في الاذهان ثابتا في الاعيان
وهذا كله من نوع الاشتباه ومن هداه الله فرق
بين الامور وان اشتركت من بعض الوجوه وعلم
ما بينهما من الجمع والفرق والتشابه والاختلاف وهولاء
لا يضلون بالمتشابه من الكلام لانهم يجمعون بينه وبين
المحكم المفارق الذي بين ما بينهما من الفصل
والافتراق وهذا كما ان لفظ انا ونحن وغيرهما من صيغ

الخ

33

الجمع بتعظيمها الواحد الذي له شركة في الفعل ويتكلم بها الواحد
الذي له شركة في الفعل ويتكلم بها الواحد العظيم الذي له
صفات يقوم كل صفة مقام واحد او له اعوان
تابعون له لا شركا له فاذا تمسك النصاري بقوله انا نحن
نزلنا الذكر ونحوه على تعدد الالهة كان المحكم كقوله
والهكم اله واحد ونحو ذلك مما لا يحتمل الا معنى واحدا
يزيل ما هناك من الاشتباه وكان ما ذكره من صيغة
الجمع مبينا لما يستحقه من العظمة والاسماء والصفات
وطاعة المخلوقات من الملايكة وغيرهم واما حقيقته
ما دل عليه ذلك من حقايق الاسماء والصفات وما
له من الجنود الذي يستعملهم في افعاله فلا يعلمهم الا هو
وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا من تاويل المتشابه
الذي لا يعلمه الا الله خلاف الملك من البشر اذا قال
قد امرنا لك بعطاء فقد علم انه هو واعوانه مثل
كاتبه وحاجبه وخادمه ونحو ذلك امروا به وقد
يعلم ما صدر عنه ذلك الفعل من اعتقاداته وارادته
ونحو ذلك والله تعالى لا يعلم عباده الحقايق التي اخبر

عنها من صفاته وصفات اليوم الآخر ولا يعلمون حقايق
ما اراد بخلقه وامره من الحكمة ولا حقايق ما صدرت عنه
من المشية والقدرة وهذا يبين ان التشابه يكون في الالفاظ
المتواطية كما يكون في الالفاظ المشتركة التي ليست بمتواطية
وان زال الاشتباه بما يميز احد المعنيين من اضافة او
تعريف كما اذا قيل فيها انهار من ماء فهنا قد خص
هذا الماء بالجنة فظهر الفرق بينه وبين ماء الدنيا
لكن حقيقة ما امتاز به ذلك الماء غير معلوم لنا وهو مما
اعد الله لعباده الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر من التاويل الذي لا يعلمه الا
الله وكذلك مدلول اسمايه التي يختص بها التي هي حقيقته
لا يعلمها الا هو ولهذا كان الايمة كالامام احمد وغيره
ينكرون على الجهمية وامثالهم من الذين يحرفون الكلم عن
مواضعه تاويل ما تشابه عليهم من القران على غير
تاويله كما قال الامام احمد في كتابه الذي صنفه في الرد
على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القران
وتاولته على غير تاويله وذكر في ذلك ما تشبه عليهم

فانما ذمهم لكونهم تاولوه على غير تاويله

بمعناه

معناه وإن كان لا يشتبه على غيرهم وذمهم على أنهم تأولوه على
غير تأويله لم ينف مطلق لفظ التأويل كما تقدم من أن لفظ
التأويل يراد به التفسير المبين لمراد الله به فذاك
لا يعاب بل يحمد ويراد بالتأويل الحقيقة التي استأثر الله
بعلمها فذاك لا يعلمه إلا هو وقد بسطنا هذا في غير هذا
الموضع ومن لم يعرف هذا اضطربت أقواله مثل طائفة
يقولون إن التأويل باطل وإنه يجب إجراء اللفظ على ظاهره
ويحتجون بقوله وما يعلم تأويله إلا الله ويحتجون
بهذه الآية على إبطال التأويل وهذا تناقض منهم
لأن هذه الآية تقتضي أن هناك تأويلا لا يعلمه إلا الله وهم
ينفون التأويل مطلقا وجهة الغلط أن التأويل الذي
استأثر الله بعلمه هو الحقيقة التي لا يعلمها إلا هو وأما
التأويل المذموم والباطل فهو تأويل أهل التحريف
والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ويدعون صرف
اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك
ويدعون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور
اللازم فيما أثبتوه بالعقل ويصرفونه إلى معان هي نظير

المعاني التي نفوها عنه فيكون ما نفوه من جنس ما اثبتوه
فان كان المثبت حقا ممكنا كان المنفي مثله وان كان
المنفي باطلا ممتنعا كان المثبت مثله وهولاء الذين ينفون
التاويل مطلقا ويحتجون بقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله
قد يظنون انا خوطبنا في القران بما لا يفهمه احد او بما لا معنى له
او بما لا يفهم منه شي فانه لا ظاهر له على قولهم وهذا
مع انه باطل وهو متناقض لانا اذا لم نفهمه لم يجز ان
نقول له تاويل يخالف الظاهر ولا يوافقه لامكان
ان يكون له معنى صحيح وذلك المعنى الصحيح لا يخالف
الظاهر المعلوم لنا فلا يكون دلالته على ذلك المعنى
دلالة على خلاف الظاهر فلا يكون تاويلا ولا يجوز ان
ينفي دلالته على معان لا نعرفها على هذا التقدير فان
تلك المعاني التي دل عليها قد لا نكون عارفين بها ولانا
اذا لم نفهم اللفظ ومدلوله المراد فلان لا نعرف دلالته
على المعاني التي لم يدل عليها اللفظ اولى لان اشعار
اللفظ بما يراد به اقوى من اشعاره بما لا يراد به فاذا كان
اللفظ لا يكون مشعرا بما يراد به فلا يجوز ان يقال ان هذا

لا نسلم انه يجوز في القران ما لا يفهم منه معنى من شي
معنى صحيح الا ان يكون [illegible]

الشعرا

اللفظ متأول بمعنى انه مصروف عن الاحتمال المرجوح
فضلا عن ان يقال ان هذا التاويل لا يعلمه الا الله اللهم
الا ان يراد بالتاويل ما خالف ظاهره اللائق بالمخلوقين فلا من
ريب ان المراد بالظاهر هنا ولا بد ان يكون له تاويل يخالف
ظاهره لكن اذا قال هولاء انه ليس لها تاويل يخالف ١
الظاهر او انها تجرى على المعانى الظاهرة منها كانوا
متناقضين وان ارادوا بالظاهر هنا معنى وهنا معنى
في سياق واحد من غير بيان كان تلبيسا وان ارادوا بالظاهر
مجرد اللفظ اي تجرى على مجرد اللفظ الذي يظهر من
غير فهم لمعناه كان ابطالهم للتاويل او اثباته تناقضا
لان من اثبت تاويلا او نفاه فقد فهم معنى من المعانى
وبهذا التقسيم يتبين تناقض كثير من الناس من
نفاة الصفات ومثبتيها في هذا الباب والله اعلم
القاعدة السابعة انه لقائل ان يقول
لا بد في هذا الباب من ضابط يعرف به ما يجوز على الله
تعالى مما لا يجوز في النفي والاثبات اذ الاعتماد في
هذا الباب على مجرد نفي التشبيه او مطلق الاثبات من

عن تشبيه ليس بشي وذلك انه ما من شيئين الا وبينهما
قدر مشترك وقدر مميز فالنافي ان اعتمد فيما نفيه على
ان هذا تشبيه قيل له ان اردت انه مماثل له من كل وجه
فهذا باطل وان اردت انه مشابه له من وجه دون وجه
او مشارك له في الاسم لزمك هذا في ساير ما تثبته وانتم
انما اقمتم الدليل على ابطال التشبيه والتماثل الذي فسرتموه
بانه يجوز على احدهما ما يجوز على الاخر ويمتنع عليه
ما يمتنع عليه ويجب له ما يجب له ومعلوم ان اثبات
التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور ما
يقول فانه يعلم بضروره العقل امتناعه ولا يلزم
من نفي هذا نفي التشابه من بعض الوجوه كما في الاسماء
والصفات المتواطية ولكن من الناس من يجعل التشبيه
مفسرا بمعنى من المعاني ثم كل من اثبت ذلك المعنى
قالوا انه مشبه ومنازعهم يقول ذلك المعنى ليس هو
من التشبيه وقد يفرق بين لفظ التشبيه ولفظ التمثيل
وذلك ان المعتزله ونحوهم من نفاة الصفات يقولون
كل من اثبت لله صفه قديمه فهو مشبه ممثل من

فالذين له علما وقدرة قديمه كان عندهم مشبها ممثلا
لان العدم عند جمهورهم هو اخص وصف الاله فمن
اثبت له صفه قديمه فقد اثبت له مثلا قديما عندهم
فيسمونه ممثلا بهذا الاعتبار ومثبته الصفات لا يوافقهم
على هذا بل يقولون اخص وصفه ما لا يتصف به غيره
مثل كونه رب العالمين وانه بكل شي عليم وعلى كل شي قدير
وانه اله واحد ونحو ذلك والصفة لا توصف بشي من
ذلك ومنهم من يقول هو قديم ويقول صفته قديمه ولا
يقول هو وصفاته قديمان ومنهم من يقول هو وصفاته
قديمان لكن لا يقول ذلك لا يقتضي مشاركة الصفة له
في شي من خصايصه فان العدم ليس هو من خصايص الذات
المجرده بل هو من خصايص الذات الموصوفة بالصفات
والا فالذات المجرده لا وجود لها عندهم فضلا
عن ان تختص بالعدم وقد يقولون الذات متصفه بالقدم
والصفات متصفه بالقدم وليست الصفة الها ولا
ربا كما ان النبي وصفاته محدثه وليست صفاته نبيا فهولاء
اذا اطلقوا على الصفاتية اسم التشبيه والتمثيل كان هذا

من هو لا الصفاتية من لا يسميها اغيار الصفات
انها قديمة بل يقول الرب بصفاته قديم

مجرده

بحسب اعتقادهم الذي ننازعهم فيه اوليكن يقولهم اولئك مذهب
ان هذا المعنى قد يسمى في اصطلاح بعض الناس تشبيها فهذا
المعنى لم ينفه عقل ولا سمع وانما الواجب نفي ما نفته
الادلة الشرعية والعقلية والقران قد نفى مسمى المثل
والكفو والند ونحو ذلك ولكن يقولون الصفة في لغة
العرب ليست مثل الموصوف ولا كفوه ولا نده فلا يدخل
في النص والعقل فلم ينف مسمى التشبيه باصطلاح المعتزلة
وكذلك ايضا يقولون ان الصفات لا تقوم الا بجسم متحيز
والاجسام متماثلة فلو قامت به الصفات للزم ان
يكون مماثلا لسائر الاجسام وهذا هو التشبيه وكذلك
يقول هذا كثير من الصفاتية الذين يثبتون الصفات
وينفون علوه على العرش او قيام الافعال الاختيارية
به ونحو ذلك ويقولون الصفات قد تقوم بما ليس بجسم
واما العلو على العالم فلا يصح الا اذا كان جسما فلو اثبتنا
علوه للزم ان يكون جسما وحينئذ فالاجسام متماثلة
فيلزم التشبيه فلهذا تجد هولاء يسمون من اثبت العلو
ونحوه مشبها ولا يسمون من اثبت السمع والبصر والكلام

37

ونحوه مشبهاه لعوله صاحب الارشاد وامثاله وكذلك
قد وافقهم على القول بتماثل الاجسام القاضي ابو يعلى وامثاله
من مثبته الصفات والعلو لكن هولاء قد يجعلون
العلو صفه خبريه كما هو اول قولي القاضي فيكون الكلام
فيه كالكلام في الوجه وقد يقولون اما نثبته لا بنا في
الجسم كما يقولونه في سائر الصفات والعاقل اذا تامل
وجد الامر فيما نفوه كالامر فيما اثبتوه لا فرق
واصل كلام هولاء كلهم على ان اثبات الصفات يستلزم
التجسيم والاجسام متماثله والمثبتون يجيبون عن
هذا تاره بمنع المقدمه الاولى وتاره بمنع المقدمه
الثانيه وتاره بمنع كل من المقدمتين وتاره بالاستفصال
ولا ريب ان قولهم بتماثل الاجسام قول باطل سوا فسروا
الجسم بما يشار اليه او بالقائم بنفسه او بالموجود او
بالمركب من الهيولى والصوره ونحو ذلك واما اذا فسروه
بالمركب من الجواهر المنفرده وهذا مبني على صحه ذلك
وعلى اثبات الجواهر المفرده وعلى انها متماثله وجمهور
العقلا يخالفونهم في ذلك والمقصود انهم يطلقون التشبيه

على ما يعتقدونه بحسبما بنا على تماثل الاجسام والمثبتون
ينازعونهم في اعتقادهم كاطلاق الرافضه للنصب
على من يتولى ابابكر وعمر بنا على ان من احبهما فقد ابغض عليا
ومن ابغضه فهو ناصبي واهل السنه ينازعونهم في المقدمه
الاولى ولهذا يقول هولا ان الشيين لا يشتبهان من
وجه ويختلفان من وجه واكثر العقلا على خلاف ذلك وقد
بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبينا فيه
حجج من يقول بتماثل الاجسام وحجج من نفى ذلك وبينا فساد
قول من يقول بتماثلها وايضا فالاعتماد بهذا الطريق على
نفي التشبيه اعتماد باطل وذلك انه اذا اثبت تماثل الاجسام
فهم لا ينفون ذلك الا بالحجه التي ينفون بها الجسم واذا
ثبت ان هذا يستلزم الجسم وثبت امتناع الجسم كان
هذا وحده كافيا في نفي ذلك لا يحتاج نفي ذلك الى نفي
مسمى التشبيه لكن نفي الجسم يكون مبنيا على نفي هذا
التشبيه بان يقال لو ثبت له كذا وكذا لكان جسما
ثم يقال الاجسام متماثله فيجب اشتراكها فيما يجب ويجوز
ويمتنع وهذا ممتنع عليه لكن حينئذ يكون من

سلك هذا المسلك معتمدا في نفي التشبيه على نفي التجسيم ويكون
اصل نفيه نفي الجسم وهذا مسلك آخر سنتكلم عليه ان
شا الله تعالى وانما المقصود هنا ان مجرد الاعتماد في نفي
ما ينفى على مجرد نفي التشبيه لا يفيد اذ ما من شيئين الا
يشتبهان من وجه ويفترقان من وجه بخلاف الاعتماد
على نفي النقص والعيب ونحو ذلك مما هو سبحانه مقدس عنه
فان هذه طريقة صحيحة وكذلك اذا اثبت له صفات
الكمال ونفي مماثلة غيره له فيها فان هذا نفي مماثلته فيما
هو مستحق له وهذا حقيقة التوحيد وهو ان لا يشركه
شي من الاشيا فيما هو من خصايصه وكل صفة من
صفات الكمال فهو متصف بها على وجه لا يماثله فيه
احد ولهذا كان مذهب سلف الامه وايمتها اثبات
ما وصف به نفسه من الصفات ونفي مماثلته بشي من المخلوقات
فان قيل ان الشي اذا شابه غيره من وجه جاز
عليه ما يجوز عليه من ذلك الوجه ووجب له ما وجب
له وامتنع عليه ما امتنع عليه قيل هب ان الامر كذلك
ولكن اذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم اثبات

ما يمتنع على الرب سبحانه ولا بين ما يختصه لم يكن ممتنعا كما إذا
قيل انه موجود حي عليم قدير وقد سمي بعض المخلوقات
حيا عليما سميعا بصيرا فاذا قيل يلزم انه يجوز عليه ما
يجوز على ذلك من جهة كونه موجودا حيا عليما قديرا قيل
لازم هذا القدر المشترك ليس ممتنعا على الرب فان
ذلك لا يقتضي حدوثا ولا امكانا ولا نقصا ولا شيئا مما ينافي
صفات الربوبية وذلك ان القدر المشترك هو مسمى
الوجود او الموجود او الحيوة او الحي او العليم او العلم
او السمع والبصر او السميع والبصير او القدرة او القدير
والقدر المشترك مطلق كلي لا يختص باحدهما دون
الاخر فلم يقع بينهما اشتراك لا فيما يختص بالممكن المحدث
ولا فيما يختص بالواجب القديم فان ما يختص به احدهما
يمتنع اشتراكهما فيه فاذا كان القدر المشترك الذي اشتركا
فيه صفة كمال كالوجود والحيوة والعلم والقدرة ولم
يكن في ذلك ما يدل على شيء من خصايص المخلوقين كما لا يدل على
شيء من خصايص الخالق لم يكن في اثبات هذا محذورا
اصلا بل اثبات هذا من لوازم الموجود وكل موجودين لا بد

سفا من مثل هذا ومن نفى هذا لزمه تعطيل وجود
كل موجود وهذا لما اطلع الايمة على ان هذا حقيقة قول
الجهمية سموهم معطلة وكان جهم ينكر ان يسمي الله شيا
وربما قالت الجهمية هو شي لا كالاشيا فاذا نفى القدر
المشترك مطلقا لزم التعطيل التام والمعاني التي يوصف
بها الرب تعالى كالحيوة والعلم والقدرة بل الوجود والثبوت
والحقيقة ونحو ذلك تجب له لوازمها فان ثبوت الملزوم
يقتضي ثبوت اللازم وخصايص المخلوق التي يجب تنزيه
الرب عنها ليست من لوازم ذلك اصلا بل تلك من لوازم
ما يختص بالمخلوق من وجود وحيوة وعلم ونحو ذلك
والله سبحانه منزه عن خصايص المخلوق وملزومات
خصايصه وهذا الموضع من فهمه فهما جيدا وتدبره
زالت عنه عامة الشبهات وانكشف له غلط كثير
من الاذكيا في هذا الموضع وقد بسط هذا في مواضع
كثيرة وبين فيها ان القدر المشترك الكلي لا يوجد في الخارج
معينا مقيدا وان معنى اشتراك الموجودات في امر من
الامور هو تشابهها من ذلك الوجه وان ذلك المعنى

العام يطلق على هذا لان الموجود اين في الخارج لا يشارك
احدهما الاخر في شي موجود فيه بل كل موجود متميز
عن غيره بذاته وصفاته وافعاله ولما كان الامر كذلك
كان كثير من الناس يتناقض في هذا المقام فتارة يظن
ان اثبات القدر المشترك يوجب التشبيه الباطل فيجعل ذلك
لا حجة فيما يظن انه ينفيه من الصفات حذرا من لزوم
التشبيه وتارة يتفطن انه لا بد من اثبات هذا على كل
تقدير فيجيب به فيما يثبته من الصفات لمن احتج به
من النفاة ولكثرة الاشتباه في هذا المقام وقعت الشبهة
في ان وجود الرب هل هو عين ماهيته او زايد على ماهيته
وهل لفظ الوجود يقال بالاشتراك اللفظي او بالتواطي او
التشكيك كما وقع الاشتباه في اثبات الاحوال وفي
ان المعدوم هل هو شي ام لا وفي وجود الموجودات
هل هو زايد على ماهيتها ام لا وقد كثر من ايمة النظار
الاضطراب والتناقض في هذه المقامات فتارة يقول
احدهم القولين المتناقضين ويحكي عن الناس مقالات
ما قالوها وتارة يبقى في الشك والتحيير وقد بسطنا

من الكلام في هذه المقامات وما وقع من الاشتباه والغلط
والحيرة فيها لايمة الكلام والفلسفة ما لا يتسع له هذه
الجمل المختصرة وسنذكر الصواب ان وجود كل شي في الخارج
هو ماهيته الموجودة في الخارج بخلاف الماهية التي في
الذهن فانها مغايرة للموجود في الخارج وان لفظ الوجود
كلفظة الذات والشي والماهية والحقيقة ونحو ذلك
وهذه الالفاظ كلها متواطية واذا قيل انها مشككة
لتفاضل معانيها فالمشكك نوع من المتواطي العام الذي
يراعى فيه دلالة اللفظ على القدر المشترك سوا كان المعنى
متفاضلا في موارده او متماثلا وتبين ان المعدوم
شي ايضا في العلم والذهن لا في الخارج كما هو موجود في العلم
والذهن لا في الخارج ولا فرق بين الثبوت والوجود
لكن الفرق بين الوجود العلمي والعيني مع ان ما في
العلم ليس هو الحقيقة الموجودة ولكن هو العلم
التابع للعلم القايم به وكذلك الاحوال التي تتماثل بها
الموجودات وتختلف لها وجود في الاذهان وليس في
الاعيان الا الاعيان الموجودة وصفاتها القايمة بها المعينة

فتشابه بذلك ويختلف بسبه والمقصود هنا التنبيه على جمل مختصره وجامعه من فهمها علم قدر نفعها وانفتح له باب الهدى وامكان اغلاق باب الضلال ثم بسطها وشرحها له مقام اخر اذ لكل مقام مقال والمقصود هنا الاعتماد على مثل هذه الحجه فيما ينفى عنه الرب وينزه عنه كما يفعله كثير من المصنفين خطا لمن يريد ذلك وهذا من طرق النفي الباطله وافسد من ذلك ما يسلكه نفاة الصفات او بعضها اذا ارادوا ان ينزهوه عما يجب تنزهه عنه مما هو من اعظم الكفر مثل ان يريدوا تنزيهه عن الحزن والبكا ونحو ذلك ويريدون الرد على اليهود الذين يقولون انه بكا على الطوفان حتى رمدوعادته الملايكه والذين يقولون بالهيه بعض البشر وانه الله فان كثيرا من الناس يحتج على هولا بنفي التجسيم او التحيز ونحو ذلك ويقولون لو اتصف هذه النقايص والافات لكان جسما او متحيزا وذلك ممتنع ولسلوكهم مثل هذه الطريق استظهر عليهم الملاحده نفاه الاسما والصفات فان هذه الطريق لا يحصل بها المقصود لوجوه احدها ان وصف

حاشية السنوسي

وصف الله تعالى بهذه النقايص والآفات اظهر فسادًا
في العقل والدين من نفي التحيز والتجسيم فان هذا فيه
من الاشتباه والنزاع والخفا ما ليس في ذلك وكفر صاحب
ذلك معلوم بالضروره من دين الاسلام والدليل معرف
للمدلول ومبين له فلا يجوز ان يستدل على الاظهر
الاشهر بالاخفى كما لا يفعل مثل ذلك في الحدود والوجه
الثاني ان هؤلاء الذين ينفون هذه الآفات يمكنهم
ان يقولوا نحن لا نقول بالتجسيم والتحيز كما يقوله من يثبت
الصفات وينفي التحيز ويصير نزاعهم مثل نزاع مثبتة
صفات الكمال فيصير كلام من وصف الله تعالى بصفات
الكمال وصفات النقص واحدًا وبقي رد النفاة على
الطايفتين بطريق واحد وهذا في غاية الفساد
الثالث ان هؤلاء يثبتون صفات الكمال بمثل
هذه الطريقه واتصافه بصفات الكمال واجب
ثابت بالعقل والسمع فيكون ذلك دليلا على فساد هذه
الطريقه الرابع ان سالكي هذه الطريق متناقضون
وكل من اثبت شيئا منهم الزمه الاخر بما وافقه فيه النفي لمثبته

من الاثبات كما ان كل من نفى شيئا منهم الزمه الاخر بما وافقه فيه من

الصفات كالحيوة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر
اذا قالت لهم النفاة كالمعتزلة هذا تجسيم لان هذه
الصفات اعراض والعرض لا تقوم الا بالجسم او لانا لا نعرف
موصوفا بالصفات الا جسما قالت لهم المثبتة وانتم قد
قلتم انه حي عليم قدير وقلتم ليس بجسم وانتم لا تعلمون
موجودا حيا عالما قادرا الا الاجسام فقد اثبتموه على
خلاف ما علمتم فكذلك نحن وقالوا لهم انتم اثبتم حيا عالما
قادرا بلا حيوة ولا علم ولا قدرة وهذا تناقض
يعلم بضرورة العقل ثم هولاء المثبتة اذا قالوا لمن
اثبت انه يرضى ويغضب ويحب ويبغض او من وصفه
بالاستواء والنزول والاتيان والمجي او بالوجه واليد
ونحو ذلك اذا قالوا هذا يقتضي التجسيم لانا لا نعرف
ما يوصف بذلك الا ما هو جسم قالت لهم المثبتة
فانتم قد وصفتموه بالحيوة والعلم والقدرة والسمع والبصر
والكلام وهذا هكذا فان كان هذا لا يوصف به الا
الجسم فالاخر كذلك وان امكن ان يوصف باحدهما ما ليس
بجسم فالاخر كذلك فالتفريق بينهما تفريق بين المتماثلين

ولهذا لما كان الرد على من وصف الله تعالى بالنقايص بهذه
الطريق طريقا فاسدا لم يسلكه احد من السلف والايمه
فلم ينطق احد منهم في حق الله بالجسم لا نفيا ولا اثباتا
ولا بالجوهر والتحيز ونحو ذلك لانها عبارات مجمله لا
تحق حقا ولا تبطل باطلا ولهذا لم يذكر الله في كتابه
فيما انكره على اليهود وغيرهم من الكفار ما هو من هذا
النوع بل هذا هو من الكلام المبتدع الذي انكره السلف
والايمه فصل واما في طرق الاثبات فمعلوم ايضا
ان المثبت لا يكفي في اثباته مجرد نفي التشبيه اذ لو كفى
في اثباته مجرد نفي التشبيه لجاز ان يوصف الله سبحانه وتعالى
من الاعضا والافعال بما لا يكاد يحصى مما هو ممتنع عليه ايضا
مع نفي التشبيه وان يوصف بالنقايص التي لا تجوز عليه عنه
مع نفي التشبيه كما لو وصفه مفتر عليه بالبكا والحزن
والجوع والعطش مع نفي التشبيه وكما لو قال المفتري
ياكل لا كاكل العباد ويشرب لا كشربهم ويبكي
ويحزن لا كبكايهم ولا حزنهم كما يقال يضحك لا كضحكهم
ويفرح لا كفرحهم ويتكلم لا ككلامهم ولجاز ان يقال له

اعضا كثيره لا كاعضايهم كما قيل له وجه لا كوجوههم
ويدان لا كايديهم حتى يذكر المعده والامعاء والذكر
وغير ذلك مما يتعالى الله عز وجل عنه سبحانه وتعالى
عما يقول الظالمون علوا كبيرا فانه يقال للنافي ذلك مع اثبات
الصفات الخبريه وغيرها من الصفات ما الفرق بين
هذا من هذا وبين ما اثبته اذا نفيت التشبيه وجعلت
مجرد نفي التشبيه كافيا في الاثبات فلابد من اثبات فرق
في نفس الامر فان قال العمده في الفرق هو السمع فما جا
به اثبته دون ما لم يجي به السمع قيل له اولا السمع هو
خبر الصادق عما هو الامر عليه في نفسه فما اخبر به
الصادق فهو حق من نفي او اثبات والخبر دليل
على المخبر عنه والدليل لا ينعكس فلا يلزم من عدمه عدم
المدلول عليه فما لم يرد به السمع يجوز ان يكون ثابتا
في نفس الامر وان لم يرد به السمع اذا لم يكن قد
نفاه ومعلوم ان السمع لم ينف هذه الامور
باسمايها الخاصه فلابد من ذكر ما ينفيها من السمع
والا فلا يجوز حينيذ نفيها كما لا يجوز اثباتها وايضا

ولا

فلابد فى نفس الامر من فرق بين ما يثبت له وينفى عنه فان
الامور المتماثله فى الجواز والوجوب والامتناع يمتنع اختصاص ص
بعضها دون بعض بالجواز والوجوب والامتناع فلابد
من اختصاص المنفى عن المثبت بما يخصه بالنفى ولابد من
اختصاص الثابت عن المنفى بما يخصه بالثبوت وقد
يعبر عن ذلك بان يقال لابد من امر يوجب نفى ما يجب نفيه
عن الله كما انه لابد من امر يثبت له ما هو ثابت
وان كان السمع كافيا كان مخبرا عما هو الامر عليه فى نفسه
فما الفرق فى نفس الامر بين هذا وهذا فيقال كل ما نفى صفات
الكمال الثابته لله فهو منزه عنه فان ثبوت احد الضدين
يستلزم نفى الاخر فاذا علم انه موجود واجب الوجود
بنفسه وانه قديم واجب القدم علم امتناع العدم والحدوث
عليه وعلم انه غنى عما سواه والمفتقر الى سواه فى بعض
ما يحتاج اليه نفسه ليس موجودا بنفسه بل بنفسه وبذلك
الاخر الذى اعطاه ما يحتاج اليه نفسه ليس موجودا
بنفسه بل بنفسه وبذلك الاخر الذى اعطاه ما يحتاج اليه
نفسه فلا يوجد الا به وهو سبحانه غنى عن كل ما سواه

وكل ما نافي غناه فهو منزه عنه وهو سبحانه قدير قوي فكل ما
نافي قدرته وقوته فهو منزه عنه وهو سبحانه حي قيوم فكل
ما نافي حيوته وقيوميته فهو منزه عنه وبالجملة فالسمع قد اثبت
له من الاسما الحسنى وصفات الكمال ما قد ورد وكلما ضاد ذلك
فالسمع ينفيه كما نفى عنه المثل واللغو فان اثبات الشي نفي
لضده ولما يستلزم ضده والعقل يعرف نفي ذلك كما يعرف
اثبات ضده فاثبات احد الضدين نفي الاخر ولما يستلزمه
وطرق العلم بنفي ما ينزه الرب عنه متسعة لا يحتاج فيها الى
الاقتصار على مجرد نفي التشبيه كما يفعله اهل القصور
والتقصير الذين تناقضوا في ذلك وفرقوا بين المتماثلين حتى
ان كل من اثبت شيا احتج عليه من نفاه بانه يستلزم التشبيه
وبذلك احتج القرامطة على نفي جميع الامور حتى نفوا النفي
فقالوا لا يقال موجود ولا ليس بموجود ولا حي ولا ليس
بحي لان ذلك تشبيه بالموجود او المعدوم فلزمهم نفي
النقيضين وهو اظهر الاشيا امتناعا ثم ان هولا يلزمهم
من تشبيهه بالمعدومات والممتنعات والجمادات اعظم
مما فروا منه من التشبيه بالاحيا الكاملين وطرق تنزيهه

ونقدسه عما هو منزه عنه ملتسعه لا يحتاج الى هذا
وقد تقدم ان ما ينفى عنه سبحانه ينفى لتضمن النفى الاثبات اذ مجرد
النفى لا مدح فيه ولا كمال فان المعدوم يوصف بالنفى والمعدوم
لا يشبه الموجود وليس هذا مدحا له بل مشابهة الناقص
فى صفات النقص نقص مطلقا كما ان مماثلة المخلوق فى شى من
الصفات تمثيل وتشبيه ينزه عنه الرب تبارك وتعالى والنقص
ضد الكمال وذلك مثل انه قد علم انه حى والموت ضد ذلك
فهو منزه عنه وكذلك النوم والسنة ضد كمال الحيوة
فان النوم اخو الموت وكذلك اللغوب نقص فى القدرة والقوة
والاكل والشرب ونحو ذلك من الامور فيه افتقار الى
موجود غيره كما ان الاستعانة بالغير والاعتضاد به
ونحو ذلك يتضمن الافتقار اليه والاحتياج اليه فكل
من يحتاج الى من يحمله او يعينه على قيام ذاته وافعاله فهو
مفتقر اليه ليس مستغنيا بنفسه فكيف من ياكل
ويشرب والاكل والشارب اجوف والمصمت الصمد اكمل
من الاكل الشارب ولهذا كانت الملايكة صمدا لا يأكلون
ولا يشربون وقد تقدم ان كل كمال ثبت لمخلوق فالخالق اولى به

وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق اولى بتنزيهه عن ذلك
والسمع قد نفى ذلك في غير موضع كقوله الصمد والصمد
الذي لا جوف له ولا ياكل ولا يشرب وهذه السورة هي
نسب الرحمن وهي الاصل في هذا الباب وقال في حق المسيح وامه
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه
صديقة كانا ياكلان الطعام فجعل ذلك دليلا على نفي الالوهية
فدل ذلك على تنزيهه عن ذلك بطريق الاولى والاحرى
والكبد والطحال ونحو ذلك هي اعضاء الاكل والشرب فالغني
المنزه عن ذلك تنزه عن الات ذلك بخلاف اليد فانها للعمل
والفعل وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل اذ ذاك
من صفات الكمال فمن يقدر ان يفعل اكمل ممن لا يقدر على
الفعل وهو سبحانه منزه عن الصاحبة والولد وعن الات
ذلك واسبابه وكذلك البكا والحزن هو مستلزم للضعف
والعجز الذي تنزه الله عنه بخلاف الفرح والغضب
فانه من صفات الكمال فكما يوصف بالقوة دون العجز
وبالعلم دون الجهل وبالحياة دون الموت وبالسمع دون الصمم
وبالبصر دون العمى وبالكلام دون البكم وكذلك

يوصف

يوصف بالفرح دون الحزن والضحك دون البكا ونحو ذلك وايضا
فقد ثبت بالعقل ما ثبته السمع من انه سبحانه لا كفو له
ولا سمي له وليس كمثله شي فلا يجوز ان يكون حقيقته كحقيقة
شي من المخلوقات ولا حقيقة شي من صفاته كحقيقة شي
من صفات المخلوقات فيعلم قطعا انه ليس من جنس
المخلوقات لا الملايكه ولا السموات ولا الكواكب ولا
الهوا ولا الما ولا الارض ولا الادميين ولا ابدانهم ولا
انفسهم ولا غير ذلك بل العلم ان حقيقته عن مماثله شي من
الموجودات ابعد من سائر الحقايق وان مماثلته ليس منها
ابعد شي من مماثله حقيقة شي من المخلوقات لحقيقة
مخلوق اخر وان الحقيقتين اذا تماثلتا جاز على كل
واحد ما يجوز على الاخرى ووجب لها ما وجب
لها فيلزم ان يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز
على المحدث المخلوق من العدم والحاجة وان يثبت لهذا
ما يثبت لذاك من الوجوب والغنى فيكون الشي الواحد
واجبا بنفسه غير واجب بنفسه موجودا معدوما
وذلك جمع بين النقيضين وهذا مما يعلم به بطلان قول

المشبهة الذين يقولون بصر كبصري ويد كيدي ونحو ذلك تعالى الله
عن قولهم علوا كبيرا وليس المقصود هنا استيفا ما ثبت له
وما نزه عنه وطرق ذلك لان هذا مبسوط في غير هذا الموضع
وانما المقصود هنا التنبيه على جوامع ذلك وطرقه وما
سكت عنه السمع نفيا واثباتا ولم يكن في العقل ما يثبته
ولا ينفيه سكتنا عنه فلا نثبته ولا ننفيه فنثبت ما علمنا
ثبوته وننفي ما علمنا نفيه ونسكت عما لم نعلم نفيه ولا اثباته
والله اعلم فصل واما الاصل الثاني وهو التوحيد
في العبادات المتضمن للايمان بالشرع والقدر جميعا فنقول
انه لا بد من الايمان بخلق الله وامره فيجب الايمان بانه خالق
كل شي وربه ومليكه وانه على كل شي قدير وانه ما
شا كان وما لم يشا لم يكن فلا حول ولا قوة الا بالله وقد
علم ما سيكون قبل ان يكون وقدر المقادير وكتبها
حيث شا كما قال الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر مقادير
الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة

وكان

46

وكان عرشه على الماء وجب الايمان بان الله تعالى أمر بعبادته وحده
لا شريك له كما خلق الانس والجن لعبادته وبذلك ارسل رسله
وانزل كتبه وعبادته تتضمن كمال الذل له والحب له وذلك
يتضمن طاعته ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقد
قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وقد قال تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من
دون الرحمن الهة يعبدون وقال تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
وقال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صا
لحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا
ربكم فاتقون فامر الرسل باقامة الدين وان لا يتفرقوا فيه
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
انا معشر الانبيا ديننا واحد الانبيا اخوة لعلات

كال، — لحا

وان أولى الناس بابن مريم لانا انه ليس بيني وبينه نبي وهذا
الدين هو دين الاسلام الذي لا يقبل الله دينا غيره لا من
الاولين ولا من الاخرين فان جميع الانبياء على دين الاسلام
قال تعالى عن نوح واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله الى
قوله تعالى من المسلمين وقال عن ابراهيم ومن يرغب عن ملة ابرهيم
الى قوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقال عن موسى يا قوم ان
كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال
في خبر المسيح واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي
قالوا امنا واشهد باننا مسلمون وقال فيمن تقدم من الانبياء يحكم
يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقال عن بلقيس انها
قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت لله رب العالمين ه
فالاسلام يتضمن الاستسلام لله وحده فمن استسلم له ولغيره ه
كان مشركا ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته ه
والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر والاستسلام له وحده
يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده وهذا دين الاسلام الذي يكون
لا يقبل الله غيره وذلك انما يكون بان يطاع في كل وقت بفعل ما امر

47

بسه في ذلك الوقت فاذا امر في اول الامر باستقبال الصخره
ثم امر ثانيا باستقبال الكعبة كان كل من الفعلين حين امر به
داخلا في دين الاسلام فالدين هو الطاعه والعباده له في
الفعلين وانما تنوع بعض صور الفعل وهي وجهه المصلي
وكذلك الرسل دينهم واحد وان تنوعت الشرعه والمنهاج
والوجهه والمنسك فان ذلك لا يمنع ان يكون الدين واحدا
كما لم يمنع ذلك في شريعه الرسول الواحد والله تعالى
جعل من دين الرسل ان اولهم يبشر باخرهم ويومن
به واخرهم مصدق باولهم ويومن به قال الله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمه
ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال
اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال
فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين قال ابن عباس
لم يبعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق لين بعث محمد
وهو حي ليومنن به ولينصرنه وامره ان ياخذ الميثاق على
امته لين بعث وهم احيا ليومنن به ولينصرنه وقال
تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب

ابن عباس

ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وجعل الايمان بهم متلازما وكفّر من قال انه امن ببعضهم
وكفر ببعض قال تعالى ان الذين يكفرون بالله
ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وقال تعالى افتومنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم
الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد
العذاب وما الله بغافل عما تعملون وقال قولوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له
مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا
فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم
فامرنا ان نقول امنا بهذا كله ونحن بالله مسلمون فمن
بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقر بما جاءه به لم يكن

مسلما ولا مومنا بل يكون كافرا وان زعم انه مسلما
او مومنا كما ذكروا انه لما انزل الله ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه قالت اليهود والنصارى فنحن مسلمون
فانزل الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا وقال تعالى ومن كفر فان الله غنى عن
العالمين فان الاستسلام لله لا يتم الا بالاقرار لما له على
عباده من حج البيت كما قال صلى الله عليه وسلم بنى
الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله واقام الصلوة وايتا الزكاة وصوم رمضان
وحج البيت ولهذا لما وقف النبى صلى الله عليه وسلم بعرفة
انزل الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وقد تنازع الناس
فيمن تقدم من امة موسى وعيسى هل هم مسلمون ام لا وهو
نزاع لفظى فان الاسلام الخاص الذى بعث الله به محمدا
صلى الله عليه وسلم المتضمن لشريعة القران ليس عليه الا
امة محمدا صلى الله عليه وسلم والاسلام اليوم عند الا
تتناول لهولاء واما الاسلام العام المتناول لكل

طلاق

شريعة بعث الله بها نبينا فانه ثنا ول اسلام كل امة
متبعة لنبي من الانبياء ورا س الاسلام مطلقا شهادة ان
لا اله الا الله وبها بعث الله جميع الرسل كما قال
تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال
عن الخليل اذ قال لابيه وقومه انني برآء مما تعبدون الا الذي
فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم
يرجعون وقال تعالى عنه افرايتم ما تعبدون
انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
وقال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده وقال
تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون وذكر عن رسله كنوح وهود
وصالح وغيرهم انهم قالوا لقومهم اعبدوا الله ما لكم

٤٩

من الله عين وقال عن اهل الكهف انهم فتية امنوا بربهم
وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا
رب السموات والارض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا
شططا هاولا قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون
عليهم بسلطان مبين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
وقد قال سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا وذلك في موضعين من كتابه وقد
بين في كتابه الشرك بالانبيا والشرك بالكواكب
والشرك بالاصنام واصل الشرك الشرك بالشيطان
فقال عن النصارى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا
الها واحدا لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون
وقال تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب
ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت

بلغ مقابلة ٥٥

(

وقوله تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله
ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
كفر ومعلوم ان احدا من الخلق لم يزعم ان احدا
من الانبيا والاحبار او الرهبان او مريم شاركوا الله في
خلق السموات والارض بل ولا زعم احد من الناس
ان العالم له صانعان متكافيان في الصفات
والافعال بل ولا اثبت احد من بني ادم الها مساويا
لله في جميع صفاته بل عامة المشركين بالله معترفون
بانه ليس شريكه مثله بل عامتهم يقرون ان الشريك
مملوك له سوا كان ملكا او نبيا او كوكبا او صنما كما
كانت مشركوا العرب يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك
الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فاهل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالتوحيد فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا
شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك
وقد ذكر ارباب المقالات ما جمعوا من مقالات الاولين

والاخرين في الملك والنحل والاراء والديانات ولم يقولوا عن
احد اثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات
ولا مماثل له في جميع الصفات بل من اعظم ما نقلوا في ذلك
قول الثنوية الذين يقولون بالاصلين النور والظلمة وان
النور خلق الخير والظلمة خلقت الشر ثم ذكروا
لهم في الظلمة قولين احدهما انها محدثة فتكون من جملة المخلوقات
له والثاني انها قديمة لكنها لم تفعل الا الشر
وكانت ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور
وقد اخبر سبحانه عن المشركين من اقرارهم
ان الله خالق المخلوقات ما بينه في كتابه فقال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل افرأيتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن
كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال
تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله
قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت

كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون
الله قل فانى تسحرون الى قوله ما اتخذ الله من ولد وما
كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض
سبحان الله عما يصفون وقال تعالى وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون وهذا وغيره يعرف ما
وقع من الغلط في مسمى التوحيد فان عامة المتكلمين
الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر
غايتهم ان يجعلوا التوحيد ثلثة انواع فيقولون
هو واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا
شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له واشهر الانواع
عندهم في الثلثة هو الثالث وهو توحيد
الافعال وهو ان خالق العالم واحد وهم يحتجون
على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها
ويظنون ان هذا هو التوحيد المطلوب وان هذا هو
معنى قولنا لا اله الا الله حتى قد يجعلون معنى الالهية
هو القدرة على الاختراع ومعلوم ان المشركين من العرب
الذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يخالفون

في هذا الناس كانوا يقرون بان الله خالق كل شي حتى انهم كانوا يقرون
بالقدر ايضا وهم مع هذا مشركون وقد تبين ان ليس في
العالم من ينازع في اصل هذا الشرك ولكن غاية ما يقال
ان من الناس من جعل بعض الموجودات خلقا لغير الله
كالقدرية وغيرهم لكن هؤلاء يقرون بان الله خالق
العباد وخالق قدرتهم وان قالوا انهم خلقوا افعالهم
وكذلك اهل الفلسفة والطبع والنجوم الذين يجعلون
بعض المخلوقات مبدعة لبعض الامور مع الاقرار بالصانع
يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة لا يقولون
انها غنية عن الخالق مشاركة له في الخلق فاما من انكر
الصانع فذاك جاحد معطل للصانع كالقول الذي
اظهره فرعون والكلام الان مع المشركين بالله المقرين
بوجوده فان هذا التوحيد الذي قرروه لا ينازعهم
فيه هؤلاء المشركون بل يقرون به مع انهم مشركون
كما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع وكما علم بالاضطرار
من دين الاسلام وكذلك النوع الثاني وهو قولهم
لا شبيه له في صفاته فانه ليس في الامم من اثبت قديما مماثلا

له في ذاته سوا قال انه شاركه او قال انه لا فعل له بل
من شبهه بشيا من مخلوقاته فانما كان تشبيهه له في بعض
الامور وقد علم بالعقل امتناع ان يكون له مثل في المخلوقات
مشاركه فيما يجب او يجوز او يمتنع عليه فان ذلك يستلزم
الجمع بين النقيضين كما تقدم وعلم ايضا بالعقل ان كل
موجودين قائمين بانفسهما فلا بد بينهما من قدر مشترك
كاتفاقهما في مسمى الوجود والقيام بالنفس والذات ونحو
ذلك وان نفي ذلك يقتضي التعطيل المحض وانه لا بد من
اثبات خصايص الربوبيه وقد تقدم الكلام على ذلك وان
الجهميه من المعتزله وغيرهم ادرجوا نفي الصفات
في مسمى التوحيد فصار من قال ان لله علما او قدره
او انه يرى او ان القران كلام الله غير مخلوق يقولون انه
مشبه ليس بموحد وزاد عليهم غلاه الفلاسفه والقرامطه
فنفوا اسماءه الحسنى وقالوا من قال ان الله عليم
قدير عزيز حكيم فهو مشبه ليس بموحد وزاد غلاة
الغلاه وقالوا لا يوصف بالنفي ولا الاثبات لان في
كل منهما تشبيها له وهولاء كلهم وقعوا من جنس التشبيه

في ما هو شر مما فروا منه فانهم شبهوه بالممتنعات والمعدومات
والجمادات فرارا من تشبيههم بزعمهم بالاحياء ومعلوم
ان هذه الصفات الثابتة لله لا تثبت له على حد ما يثبت
لمخلوق أصلا وهو سبحانه ليس كمثله شي لا في ذاته ولا
في صفاته ولا في افعاله ولا فرق بين اثبات الذات
واثبات الصفات فاذا لم يكن في اثبات الذات
اثبات مماثلة الذوات لم يكن في اثبات الصفات اثبات
مماثلة له في ذلك فصار هولاء الجهمية المعطلة يجعلون
هذا توحيدا ويجعلون مقابله ذلك التشبيه ويسمون
نفوسهم الموحدين وكذلك النوع الثالث وهو قولهم
واحد لا قسيم له في ذاته او لا جزء له او لا بعض له لفظ
مجمل فان الله سبحانه احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد ويمتنع عليه ان يتفرق او يتجزا او يكون
قد ركب من اجزا لكنهم يدرجون في هذا اللفظ
نفي علوه على عرشه ومباينته لخلقه وامتيازه عنهم
ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله
ويجعلون ذلك من التوحيد فقد تبين ان ما يسمونه

توحيد الله ما هو حق وفيه ما هو باطل ولو كان جميعه
حقا فإن المشركين إذا أقروا بذلك لم يخرجوا من الشرك
الذي وصفهم به القرآن وقاتلهم عليه الرسول بل لا بد أن
يعترفوا بأنه لا إله إلا الله وليس المراد بالإله هو القادر
على الاختراع وإن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع
دون غيره فقد شهد أنه لا إله إلا هو فإن المشركين كانوا
يقرون بهذا وهم مشركون كما تقدم بيانه بل الإله الحق هو
الذي يستحق أن يعبد فهو إله بمعنى مألوه لا إله بمعنى آله
والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له والإشراك أن
يجعل مع الله إلها آخر وإذا تبين أن غاية ما يقرره هؤلاء
النظار أهل الإثبات للقدر المنتسبون إلى السنة
إنما هو توحيد الربوبية وأن الله رب كل شيء ومع هذا
فالمشركون كانوا مقرين بذلك مع أنهم مشركون وكذلك
طوائف من أهل التصوف المنتسبين إلى المعرفة والتحقيق
والتوحيد غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا
التوحيد وهو أن يشهد أن الله رب كل شيء ومليكه
وخالقه لا سيما إذا غاب العارف بموجوده عن وجوده

وبشهوده

كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين
ظنا أن الإلهية هي القدرة على الاختراع

53

والمشهود عن شهوده والمعروف عن معرفته ودخل في فناء
توحيد الربوبية بحيث يغني من لم يكن ويبقى من لم يزل فهذا
عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها ومعلوم ان هذا هو
تحقيق ما اقر به المشركون من التوحيد ولا يصير الرجل بمجرد
هذا التوحيد مسلما فضلا عن ان يكون وليا او من سادات
الاولياء وطائفة من اهل التصوف والمعرفة يقررون
هذا التوحيد مع اثبات الصفات فيفنون في توحيد
الربوبية مع اثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته
واخرون يضمون هذا الى نفي الصفات فيدخلون في
التعطيل مع هذا وهذا اشر من حال كثير من
المشركين وكان جهم ينفي الصفات ويقول بالجبر
فهذا تحقيق قول جهم لكنه اذا اثبت الامر والنهي
والثواب والعقاب فارق المشركين من هذا الوجه
لكن جهما ومن اتبعه يقول بالارجاء وضعف الامر والنهي
والعقاب عنده والنجارية والضرارية وغيرهم يقربون
من جهم في مسائل القدر والايمان مع مقاربتهم ايضا
له في نفي الصفات والكلابية والاشعرية خير من هؤلاء

في باب الصفات فانهم يثبتون لله الصفات العقلية وايمتهم يثبتون
الصفات الخبرية ايضا كما قد فصلت اقوالهم في غير هذا الموضع
واما في باب القدر ومسايل الاسما والاحكام فاقوالهم متقاربة
والكلابية اتباع ابي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب الذي سلك
الاشعري خلفه واصحاب ابن كلاب كالحرث المحاسبي وابي العباس
القلانسي ونحوهما خير من الاشعرية في هذا وهذا
فكلما كان الرجل الى السلف والايمة اقرب كان قوله اعلى
وافضل والكرامية قولهم في الايمان قول منكر لم يسبقهم
اليه احد حيث جعلوا الايمان قول باللسان مع عدم تصديق
القلب فيجعلون المنافق مومنا لكنه يخلد في النار فخالفوا
الجماعة في الاسم دون الحكم واما في الصفات والقدر والوعيد
فهم اشبه من اكثر طوايف الكلام التي في اقوالها مخالفة
للسنة واما المعتزلة فهم ينفون الصفات ويقاربون
قول جهم لكنهم ينفون القدر فهم وان عظموا الامر
والنهي والوعد والوعيد وغلوا فيه فهم يكذبون بالقدر
ففيهم نوع من الشرك من هذا الباب والاقرار بالامر
والنهي والوعد والوعيد ولهذا لم يكن في زمن الصحابة

في الحكم

مع انكار القدر خير من الاقرار بالقدر مع
انكار الامر والنهي والوعد والوعيد صح

واتبعى

57

والنابعين من ينفي الامر والنهي والوعد والوعيد وكان قد نبغ فيهم القدريه كما نبغ فيهم الخوارج الحروريه وانما يظهر من البدع اولا ما كان اخف وكلما ضعف من يقوم بنور النبوه قويت البدعه وهاولا المتصوفون الذين يشهدون الحقيقه الكونيه مع اعراضهم عن الامر والنهي شر من القدريه المعتزلة ونحوهم اولئك يشبهون بالمجوس وهولاء يشبهون بالمشركين الذين قالوا لو شا الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا من شي والمشركون شر من المجوس فهذا اصل عظيم على المسلم ان يعرفه فانه اصل الاسلام الذي يتميز به اهل الايمان من اهل الكفر وهو الايمان بالوحدانيه والرسالة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد وقع كثير من الناس في الاخلال بحقيقة هذين الاصلين او احدهما مع ظنه انه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفه فاقرار المرء بان الله رب كل شي ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله ان لم يقترن به الاقرار بانه لا اله الا الله فلا يستحق العبادة احد الا هو وان محمدا رسول الله فيجب

يصدقه فيما اخبر وطاعته فيما امر ولا بد من الكلام في هذين
الفصلين الفصل الاول هو توحيد الالهية فانه سبحانه
اخبر عن المشركين كما تقدم بانهم اثبتوا وسايط بينهم وبين الله
يدعونهم ويتخذونهم شفعا بدون الله قال تعالى و
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم
في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون
فاخبر ان هؤلاء اتخذوا هؤلاء الشفعا مشركون
وقال تعالى عن مومن يس ومالي لا اعبد الذي
فطرني واليه ترجعون ااتخذ من دونه الهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيا ولا ينقذون اني اذا
لفي ضلال مبين اني امنت بربكم فاسمعون وقال
تعالى ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
ورا ظهوركم وما نرى معكم شفعاكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركا لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون فاخبر
عن شفعايهم انهم زعموا انهم فيهم شركا وقال تعالى
ام اتخذوا من دون الله شفعا قل اولو كانوا لا يملكون شيا

ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض
ثم اليه ترجعون وقال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا
شفيع وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان
يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقد قال
تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقال
تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما
له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له
وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا قال طايفة

تعالى لا تجعل مع الله الها
اخر فتقعد مذموما مخذولا

من السلف كان اقوام يدعون العزير والمسيح والملايكه فانزل
الله هذه الايه بين فيها ان الملايكه والانبياء يتقربون الى
الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه ومن تحقيق التوحيد
ان تعلم ان الله اثبت له حقا لا يشركه فيه مخلوق كالعباده
والتوكل والخوف والتقوى فى ذلك وقال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص وقال
تعالى قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له ديني وقال
تعالى قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي
اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وكل من
الرسل يقول اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال فى التوكل
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين وعلى الله فليتوكل
المتوكلون قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال
تعالى ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا
الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
فقال فى الايتا ما اتاهم الله ورسوله وقال فى التوكل
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يقل ورسوله لان الايتا

56

هو الاعطا الشرعي وذلك يتضمن الاباحه والاحلال
الذي بلغه الرسول فان الحلال ما احله والحرام ما حرمه
والدين ما شرعه قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا واما الحسب فهو الكافي والله
وحده كاف عبده كما قال الذين قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فهو وحده حسبهم كلهم وقال
تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين اي حسبك
وحسب من اتبعك من المومنين هو الله فهو كافيكم
كلكم وليس المراد ان الله والمومنين حسبك كما يظنه
بعض الغالطين اذ هو وحده كاف نبيه وهو حسبه ليس
معه من يكون هو واياه حسبا للرسول وهذا في اللغه كقول الشاعر
فحسبك والضحاك سيف مهند وتقول العرب
حسبك وزيدا درهم اي يكفيك وزيدا جميعا درهم
وقال في الخوف والخشيه والتقوى ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفايزون فاثبت الطاعه
لله والرسول واثبت الخشيه والتقوى لله وحده كما قال

نوح عليه السلام انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه
واطيعون فجعل العباده والتقوى لله وحده وجعل الطاعه
له فانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى فلا
تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين وقال الخليل
عليه السلام وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم
بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالامن ان
كنتم تعلمون وقال تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وفى الصحيحين
عن ابن مسعود لما نزلت هذه الايه شق ذلك على اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال
النبى صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك الم تسمعوا الى
قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم وقال تعالى
فاياى فارهبون واياى فاتقون ومن هذا الباب ان النبى صلى
الله عليه وسلم كان يقول فى خطبته من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولن يضر الله شيا
وقال لا تقولوا ما شا الله وشا محمد ولكن قولوا ما شا
الله ثم شا محمد ففى الطاعه قرن اسم الرسول باسمه بحرف

الواو وفي المشيه امران يجعل ذلك بحرف ثم وكذلك لا طاعه
الرسول طاعه الله من يطع الرسول فقد اطاع الله وطاعه
الله طاعه للرسول بخلاف المشيه فليست مشيه احد
من العباد مشيه لله ولا مشيه الله مستلزمه لمشيه
العباد بل ما شا الله كان وان لم يشا الناس وما شا الناس
لم يكن ان لم يشا الله والفصل الثاني في حق الرسول
صلى الله عليه وسلم فعلينا ان نومن به ونطيعه ونتبعه
ونرضيه ونحبه ونسلم لحكمه وامثال ذلك قال
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه وقال تعالى قل ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وامثال ذلك
فصل واذا تبين هذا فمن المعلوم انه يجب الايمان

بخلق الله وامره بقضايه وشرعه واهل الضلال الخايضون
في القدر انقسموا الى ثلث فرق مجوسية ومشركيه وابليسيه
فالمجوسية الذين كذبوا بقدر الله وان امنوا بامره ونهيه فغلاتهم
انكروا العلم والكتاب ومقتصدتهم انكروا عموم مشيته
وخلقه وقدرته وهاولاء هم المعتزلة ومن وافقهم والفرقة
الثانيه المشركية الذين اقروا بالقضاء والقدر وانكروا
الامر والنهي وقال الله تعالى وقال الذين اشركوا لو شا
الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا من شي فمن احتج على
تعطيل الامر والنهي بالقدر فهو من هولاء وهذا قد كثر
فيمن يدعي الحقيقه من المتصوفة والفرقة الثالثه الابليسيه
وهم الذين اقروا بالامرين لكن جعلوا هذا تناقضا
من الرب وطعنوا في حكمته وعدله كما يذكر مثل ذلك عن
ابليس مقدمهم كما نقله اهل المقالات ونقل عن اهل الكتاب
والمقصود ان هذا مما يقوله اهل الضلال واما اهل
الهدى والفلاح فيومنون بهذا وهذا ويومنون بان الله خالق
كل شي وربه ومليكه ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن
وهو على كل شي قدير احاط بكل شي علما وكل شي احصاه

في امام مبين وتتضمن هذا الاصل من اثبات علم الله وقدرته
ومشيته ووحدانيته في ربوبيته وانه خالق كل شي وربه
ومليكه ما هو من اصول الايمان ومع هذا لا ينكر ما خلقه
الله من الاسباب التي يخلق بها المسببات كما قال تعالى حتى
اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الما
فاخرجنا به من كل الثمرات وقال تعالى يهدي به الله من
اتبع رضوانه سبل السلام وقال تعالى يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا فاخبر انه يفعل بالاسباب ومن قال يفعل
عندها لا بها فقد خالف ما جا به القران وانكر ما خلقه
الله من القوى والطبايع وهو شبيه بانكار القوى التي
خلقها الله في الحيوان التي يفعل الحيوان بها مثل قدرة
العبد كما ان من جعلها هي المبدعة لذلك فقد اشرك بالله
واضاف فعله الى غيره وذلك انه ما من سبب من الاسباب
الا وهو مفتقر الى سبب اخر في حصول مسببه ولا بد له من
مانع يمنع مقتضاه اذا لم يدفعه الله عنه فليس في الوجود
شي واحد يفعل شيا الا الله وحده قال الله تعالى
ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون اي فتعلمون

ان خالق الازواج واحد ولهذا من قال الله لا يصدر عنه الا
واحد لان الواحد لا يصدر عنه الا واحد كان جاهلا فانه
ليس في الوجود واحد صدر عنه وحده شي لا واحد ولا اثنان
الا الله الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون فالنار التي جعل الله فيها حرارة لا يحصل
الاحراق الا بها وبمحل يقبل الاحراق فاذا وقعت على
السمندل والياقوت ونحوهما لم تحرقها وقد يطلى الجسم
بما يمنع احراقه والشمس التي يكون عنها الشعاع لا بد من جسم
يقبل انعكاس الشعاع عليه واذا حصل حاجز من سحاب او
سقف لم يحصل الشعاع تحته وقد بسط
هذا في غير هذا الموضع والمقصود هنا انه لا بد من الايمان بالقدر
فان الايمان بالقدر من تمام التوحيد كما قال ابن عباس الايمان
بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وامن بالقدر تم توحيده
ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده ولا
بد من الايمان بالشرع وهو الايمان بالامر والنهي والوعد
والوعيد كما بعث الله بذلك رسله وانزل كتبه والانسان
مضطر الى شرع في حيوته الدنيا لانه لا بد له من حركة

هو الذي

بجلب بها منفعة وحركة يدفع بها مضرته والشرع يميز بين
الافعال التي تنفعه والافعال التي تضره وهو عدل الله
في خلقه ونوره بين عباده فلا يمكن الادميين ان يعيشوا حيوز
بلا شرع يميزون به ما يفعلونه ويتركونه وليس المراد
بالشرع مجرد العدل بين الناس في معاملاتهم بل الانسان
المنفرد لا بد له من فعل وترك فان الانسان همام حارث
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصدق الاسماء حارث وهمام
وهو معنى قولهم متحرك بالارادة فاذا كان له ارادة هو متحرك
بها فلا بد ان يعرف ما يريده هل هو نافع له او ضار وهل
يصلحه او يفسده وهذا قد يعرف بعضه الناس بفطرتهم
كما يعرفون انتفاعهم بالاكل والشرب وكما يعرفون ما يعرفون
من العلوم الضرورية بفطرتهم وبعضهم يعرفونه بالاستدلال
الذي يهتدون به بعقولهم وبعضه لا يعرفونه الا بتعريف
الرسل وبيانهم لهم وهدايتهم اياهم وفي هذا المقام تكلم
الناس ان الافعال هل يعرف حسنها وقبحها بالعقل
ام ليس لها حسن وقبح يعرف بالعقل كما قد بسط في غير
هذا الموضع وبينا ما وقع في هذا الموضع من الاشتباه فانهم

اتفقوا على ان كون الفعل يلائم الفاعل او ينافره يعلم بالعقل
وهو ان يكون الفعل سببا لما يحبه الفاعل ويلتذ به وسببا
لما يبغضه ويؤذيه وهذا القدر يعلم بالعقل تارة وبالشرع
اخرى وهما جميعا اخرى لكن معرفة ذلك على وجه
التفصيل ومعرفة الغاية التي تكون عاقبة الافعال
من السعادة والشقاوة في الدار الاخرة لا يعلم الا بالشرع
فما اخبرت به الرسل من تفاصيل اليوم الاخر وامرت به
من تفاصيل الشرايع لا يعلمه الناس بعقولهم كما ان ما جاءت
به الرسل من تفصيل اسماء الله وصفاته لا يعلمه الناس
بعقولهم وان كانوا قد يعلمون بعقولهم جمل ذلك وهذا
التفصيل الذي يحصل به الايمان وجاء به الكتاب هو
ما دل عليه قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما
كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا وقوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب
وقوله تعالى قل انما انذركم بالوحي ولكن طايفة توهمت
ان الحسن والقبح معنى غير هذا وانه يعلم بالعقل وقابلتهم

تفصيل

طايفة اخرى ظنت ان ما جا به الشرع من الحسن والقبح
يخرج عن هذا فكلا الطايفتين اللتين اثبتتا الحسن والقبح
العقليين او الشرعيين واخرجتاه عن هذا القسم
عطلت ثم ان الطايفتين لما كانت تنكر ان يوصف الله بالمحبة والرضى
والسخط والفرح ونحو ذلك مما جات به النصوص الالهية
ودلت عليه الشواهد العقلية تنازعوا من بعد
اتفاقهم على ان الله لا يفعل ما هو منه قبيح هل ذلك
ممتنع لذاته وانه لا يتصور قدرته على ما هو قبيح او
انه سبحانه منزه عن ذلك لا يفعله لمجرد القبح العقلي
الذى اثبتوه على قولين والقولان فى الانحراف من جنس
القولين المتقدمين اوليك لم يفرقوا فى خلقه وامره بين
الهدى والضلال والطاعة والمعصية والابرار والفجار
واهل الجنة واهل النار والرحمة والعذاب فلا جعلوه
محمودا على ما فعله من العدل او تركه من الظلم ولا ما
يفعله من الاحسان والنعمة وتركه التعذيب والنقمة والاخرون
نزهوه بنا على القبح العقلي الذى اثبتوه ولا حقيقة له
وسووه بخلقه فيما يحسن ويقبح وشبهوه بعباده فيما يامر

سوى بينهما ومن نظر الى القدر فقط وعظم الفنا في توحيد
الربوبية ووقف عند الحقيقة الكونية لم يميز بين العلم
والجهل والصدق والكذب والبر والفجور والعدل والظلم والطاعة
والمعصية والهدى والضلال والرشاد والغي واوليا الله
واعدايه واهل الجنة واهل النار وهاولاي مع انهم
مخالفون بالضرورة لكتب الله ودينه وشرايعه فهم
مخالفون ايضا لضرورة الحس والذوق وضرورة العقل
والقياس فان احدهم لا بد ان يلتذ بشي ويتالم بشي فيميز
بين ما يوكل ويشرب وبين ما لا يوكل ولا يشرب
وبين ما يوذيه من الحر والبرد وما ليس كذلك
وهذا التمييز بين ما ينفعه ويضره هو الحقيقة الشرعية
الدينية ومن ظن ان البشر ينتهي الى حد يستوي عنده
الامران دايما فقد افترى وخالف ضرورة الحس ولكن
قد يعرض للانسان بعض الاوقات عارض كالسكر والاغما
ونحو ذلك مما يشغله عن الاحساس ببعض الامور فاما ان
يسقط احساسه بالكلية مع وجود الحيوة فيه وهذا
ممتنع فان النايم لم يسقط احساسه بنفسه بل يرى في منامه
ما

ما يسره تارة وما يسوءه أخرى فالاحوال التي يعبر عنها بالاصطلام
والفنا والسكر ونحو ذلك انما تتضمن عدم الاحساس ببعض
الاشيا دون بعض فهي مع نقص صاحبها لضعف تمييزه
لا ينتهي الى حد يسقط فيه التمييز مطلقا ومن نفى التمييز
في هذا المقام مطلقا وعظم هذا المقام فقد غلط في
الحقيقة الكونية والدينية غلط قدرا وشرعا غلط
في خلق الله وفي امره حيث ظن وجود هذا ولا وجود
له وحيث ظن انه ممدوح ولا مدح في عدم التمييز والعقل
والمعرفة واذا سمعت بعض الشيوخ يقول اريد ان لا اريد
او ان العارف لا حظ له او انه يصير كالميت بين يدي
الغاسل ونحو ذلك فهذا انما يمدح منه سقوط ارادته
التي لم يؤمر بها وعدم حظه الذي لم يؤمر بطلبه
وانه كالميت في طلب ما لم يؤمر بطلبه وترك دفع ما لم يؤمر بدفعه
ومن اراد بذلك انه تبطل ارادته بالكلية وانه لا يحس
باللذة والالم والنافع والضار فهذا مخالف لضرورة
الحس والعقل ومن مدح هذا فهو مخالف لضرورة الدين
والعقل والفنا يراد به ثلثة امور احدها وهو الفنا

الديني الشرعي الذي جاءت به الرسل وانزلت به الكتب وهو ان يفنا
عما لم يامر الله به بفعل ما امر الله به فيفنى عن عبادة غيره بعبادته
وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله وعن التوكل
على غيره بالتوكل عليه وعن محبة ما سواه بمحبته وعن خوف
غيره بخوفه بحيث لا يتبع العبد هواه بغير هدى من الله وبحيث
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما قال تعالى قل ان
كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها
احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره فهذا كله هو ما امر الله به ورسله
واما الفنا الثاني وهو الذي يذكره بعض الصوفيه
وهو ان يفنى عن شهود ما سوى الله فيفنى بمعبوده عن
عبادته وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته
بحيث قد يغيب عن شهوده بنفسه وبما سوى الله وهذا
حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين وليس هو من لوازم
طريق الله وهذا لم يعرض مثل هذا للنبي صلى الله
عليه وسلم والسابقين الاولين ومن جعل هذا نهاية السالكين

فهو ضال ضلالاً مبيناً وكذلك من جعله من لوازم طريق الله
فهو مخطي بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس
دون بعض ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك
واما الثالث فهو الفناء عن وجود السوى بحيث يرى
ان وجود المخلوق هو عين وجود الخالق وان الوجود واحد
بالعين فهذا قول اهل الالحاد والاتحاد الذين هم من اضل
العباد واما مخالفتهم لضرورة العقل والقياس فان الواحد
من هولاء لا يمكنه ان يطرد قوله فانه اذا كان
مشاهدا للقدر من غير تمييز بين المامور والمحذور
فعومل بموجب ذلك حتى يبتلى باعظم الاوصاب والاوجاع
فان لام من فعل ذلك به وعابه فقد نقض قوله وخرج
عن اصل مذهبه وقيل له هذا الذي فعله مقضي مقدور
بخلق الله وقدرته ومشيئته متناول ذلك وله وهو
يعمكما فان كان القدر حجة لك فهو حجة لهذا والا فليس بحجة
لا لك ولا له فقد تبين بضرورة العقل فساد قول من ينظر
الى القدر ويعرض عن الامر والنهي والمومن مامور بان يفعل
المامور ويترك المحظور ويصبر على المقدور قال

الله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وقال

تعالى في قصة يوسف انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر

المحسنين فالتقوى فعل ما امر الله به وترك ما نهى الله عنه ولهذا

قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح

بحمد ربك بالعشي والابكار فامر مع الاستغفار بالصبر فان

العباد لا بد لهم من الاستغفار اولهم واخرهم قال صلى الله

عليه وسلم في الحديث الصحيح ايها الناس توبوا الى ربكم فوالذي

نفسي بيده اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من

سبعين مرة وقال انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله واتوب

اليه في اليوم مائة مرة وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي

وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي

وجدي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت

وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني

انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت وقد ذكر

عن ادم ابي البشر انه استغفر ربه وتاب اليه فاجتباه

ربه فتاب عليه وهدى وعن ابليس ابي الجن انه اصر

متعلقا بالقدر فلعنه واقصاه فمن اذنب وتاب وندم فقد

13

اشبه اباه ومن اشبه اباه فما ظلم قال تعالى وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات فقال
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المومنين والمومنات
وكان الله غفورا رحيما وهذا قرن سبحانه بين التوحيد
والاستغفار في غير اية كما قال تعالى فاعلم انه لا اله
الا الله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقال
تعالى الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا وا
ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى وفي
الحديث الذي رواه ابن ابي عاصم وغيره يقول الشيطان
اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلا اله الا الله
والاستغفار فلما رايت ذلك بثثت فيهم الاهواء فهم
يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد
ذكر سبحانه عن ذي النون انه نادى في الظلمات ان لا اله
الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال تعالى فاستجبنا
له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين قال النبي صلى
الله عليه وسلم دعوة اخي ذي النون ما دعى بها مكروب

الا من رحم الله برحمته وجماع ذلك انه لابد في الامر من اصلين
ولابد له في القدر من اصلين ففي الامر عليه الاجتهاد في امتثال
الامر علما وعملا ولا يزال يجتهد في العلم بما امر الله به والعمل
بذلك ثم عليه ان يستغفر ويتوب من تفريطه في المامور
وتعديه للحدود ولهذا كان من المشروع ان يختم جميع الاعمال
بالاستغفار وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى استغفر
ثلثا وقد قال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقاموا الليل ثم
ختموه بالاستغفار واخر سورة نزلت قوله تعالى اذا جا
نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وفي الصحيح انه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران
واما في القدر فعليه ان يستعين بالله في فعل ما امر به ويتوكل
عليه ويدعوه ويرغب اليه ويستعيذ به فيكون مفتقرا
اليه في طلب الخير وترك الشر وعليه ان يصبر على المقدور
ويعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه واذا اذاه الناس علم ان ذلك مقدر عليه ومن هذا

الباب احتجاج ادم وموسى لما قال ادم انت ابو البشر خلقك
الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملايكته لماذا اخرجتنا حتنا
ونفسك من الجنة وقال له ادم انت موسى الذي اصطفاك
الله بكلامه فبكم وجدت مكتوبا علي قبل ان اخلق وعصى
ادم ربه فغوى قال بكذا وكذا سنة قال فحج ادم موسى وذلك
ان موسى لم يكن عتبه لادم لاجل الذنب فان ادم كان قد
تاب منه والتايب من الذنب كمن لا ذنب له ولكن لاجل
المصيبة التي لحقتهم من ذلك وهم مامورون ان
ينظروا الى القدر في المصايب وان يستغفروا من المعايب
كما قال فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك فمن راعى
الامر والقدر كما ذكر كان عابدا لله مطيعا له مستعينا
به متوكلا عليه من الذين انعم الله عليهم من النبيين والصد يقين
والشهدا والصالحين وقد جمع سبحانه بين هذين
الاصلين في غير موضع كقوله اياك نعبد واياك
نستعين وقوله فاعبده واصطبر لعبادته وقوله
تعالى عليه توكلت واليه انيب وقوله ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله

فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شي قدرا
فالعباده له والاستعانه به وكان صلى الله عليه وسلم يقول
عند الاضحيه اللهم منك ولك فما لم يكن بالله لا يكون فانه لا حول
ولا قوه الا بالله وما لم يكن لله لا ينفع ولا يدوم ولا بد في
عبادته من اصلين احدهما اخلاص الدين له والثاني موافقه
امره الذي بعث به رسله ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه يقول في دعايه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله
لوجهك خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيا وقال الفضيل
بن عياض في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اخلصه
واصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم
يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص ان يكون لله والصواب
ان يكون على السنه ولهذا ذم الله المشركين على اتباع ما
شرع لهم شركاوهم من الدين الذي لم ياذن به الله من عباده
غيره وفعل ما لم يشرعه من الدين قال تعالى ام لهم شركا
شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله كما ذمهم على انهم حرموا
ما لم يحرمه الله والدين الحق انه لا حرام الا ما حرمه الله ولا
دين الا ما شرعه الله ثم ان الناس في عبادته واستعانته

اربعة اقسام فالمومنون المتقون هم له وبه يعبدونه
ويستعينونه وطايفة تعبده من غير استعانة ولا صبر
فيجد عند احدهم تحريا للطاعة والورع ولزوم السنة
لكن ليس لهم توكل واستعانة وصبر وتوكل من غير استقامة
على الامر ولا متابعة للسنة فقد يمكن احدهم ويكون له نوع
من الحال باطنا او ظاهرا ويعطى من المكاشفات والتاثيرات
ما لم يعطه الصنف الاول ولكن لا عاقبة له فانه ليس من المتقين
والعاقبة للتقوى فالاولون لهم دين ضعيف لكنه مستمر باق
ان لم يفسده صاحبه بالجزع والعجز وهولاء لاحدهم حال
وقوة ولكن لم يبق له الا ما وافق فيه الامر واتبع فيه السنة
وشر الاقسام من لا يعبده ولا يستعينه فهولاء لا يشهد
عمله لله ولا انه بالله فالمعتزلة ونحوهم من القدرية الذين
انكروا القدر هم في تعظيم الامر والنهي والوعد والوعيد
خير من هولاء الجبرية الذين يعرضون عن الشرع والامر
والنهي والصوفية هم في القدر ومشاهدة توحيد
الربوبية خير من المعتزلة ولكن فيهم من فيه بدع مع
اعراض عن بعض الامر والنهي والوعد والوعيد حتى

يجعلوا الغايه هي مشاهدهن توحيد الربوبيه والفنا
في ذلك ويصيرون ايضا معتزلين لجماعه المسلمين وسنتهم فهم
معتزله من هذا الوجه وقد يكون ما وقعوا فيه من البدعه
شرا من بدعه اوليك المعتزله وكلا الطايفتين نشات
من البصره وانما دين الله ما بعث به رسله وانزل به كتبه
وهو الصراط المستقيم وهو طريقه اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير القرون وافضل الامه واكرم
الخلق على الله بعد النبيين وقال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه فرضي عن السابقين
الاولين رضي مطلقا ورضي عن التابعين لهم باحسان
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث
الصحيحه خير القرون القرن الذين بعثت فيهم ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم وكان عبد الله بن مسعود يقول
من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فان الحي لا
يومن عليه الفتنه اوليك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ابر هذه الامه قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوما

66

اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم واقامة دينه
فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى
المستقيم وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يا
معشر القرا استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم
فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن اخذتم
يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا وقد قال عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال
هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل
منها شيطان يدعوا اليه ثم قرا وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
وقد امرنا الله ان نقول في صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم
والنصارى ضالون وذلك ان اليهود عرفوا الحق
ولم يتبعوه والنصارى عبدوا الله بغير علم ولهذا كان
يقال نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل

فان فتنتهما فتنة لكل مفتون وقال تعالى فاما ياتينكم
مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى قال
ابن عباس رضي الله عنه تكفل الله لمن قرا القران وعمل بما
فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وقرا هذه
الايه وكذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما
رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اوليك على هدى من ربهم
واوليك هم المفلحون فاخبر انهم هم المهتدون مفلحون وذلك
خلاف المغضوب عليهم والضالين فنسال الله العظيم
ان يهدينا واخواننا صراط المستقيم صراط الذين
انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
وحسن اوليك رفيقا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وصلى الله على خير خلقه عبده ورسوله محمد واله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

بحمد الله تعالى كمل المسالة
ولله الحمد في كل بكرة وعشية
على يد الفقير موسى بن عبد الله الحنبلي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين في شوال الفرد يوم

67

